النفحة الزكية

شرح الأربعين النووية
مع الزيادة الرجبية

للشيخ الأستاذ الدكتور

عبد السلام بن سالم السحيمي

اعتنت به الفقيرة إلى عفو ربها

أم عبادة الليبية المرجاوية

النَّفْحَةُ الزَّكِيَّةُ

شَرْحُ الأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّة

مَـــــــعَ الزِّيَـــــــادَةِ الرَّجَبِيَّـــــــة

تصنيف الإمام

يحيى بن شرف بن مُرِّي النووي

ت ٦٧٦ رحمه الله رحمة واسعة

شَرحُ الشَّيْخ الأُسْتَاذ الدَّكْتُور

عَبْد السَّلامِ بن سالم السِّحِيمِيّ

أستاذ بقسم الفقه بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

تفريغ وتنسيق الفقيرة إلى عفو ربها

أم عبادة الليبية

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقدِّمَـــــــة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَ نَسْتَعِينُهُ وَ نَسْتَغْفِرُهُ، وَ نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَ أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}،(١){يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَ نِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}،(٢){ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}،(٢)

(١) (آل عمران:١٠٢). (٢) (النساء:١)

فَـإِنَّ خَيْـرَ الْحَـدِيثِ كِتَـابُ اللهِ، وَخَيْـرَ الْهَـدْيِ هَـدْيُ مُحَمَّـدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَشَـرَّ الأُمُـورِ مُحْـدَثَاتُهَا، وَكُـلَّ مُحْدَثَـةٍ بِدْعَـةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّار، أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ من الموضوعات الّتي أَلَّف فيها العُلماء بحديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حـديث الأربعـين، و هـي جمـع أربعـين حديثًا من أحاديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَد فِي فَضل حفظ الأربعين حديثًا من أحاديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر النَّووي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي مقدمة الأربعين له وُرُوده عن سبعة من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمّاهم وقال: (واتفق الحفّاظ على أنَّه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه، وذكر

---

(٢) (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أنَّ اعتماده فِي تأليف الأربعين ليس على هذا الحديث؛ بل على أحاديث أخرى مثل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ منكمُ الغائِبَ) (١) وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (نَضَّر الله امرئً سمِع مقالِتي فوعَاها..)، (2) و ذكر ثلاثة عشر من العلماء ألّفوا فِي الأربعين أوّلهم عبد الله ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وأخرهم أبو بكر البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى و قال بعد ذِكّرِهم : (و خلائق لا يحصون من المتقدمين والمتأخرين). وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : ثمَّ من العلماء من جمع الأربعين فِي أصول الدِّين و بعضهم فِي الفروع و بعضهم فِي الجهاد وبعضهم فِي الزُّهد وبعضهم فِي الآداب وبعضهم فِي الخطب و كُلّها مقاصدٌ صَالحة

---

(١)أخرجه البخاري (٤٤٠٦)، ومسلم (١٦٧٩)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٤٠٩٢)، وأحمد (٢٠٤١٩) واللفظ له.(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٥٨) واللفظ له، وأبو يعلى فِي (المعجم) (٢١٩)، والطبراني فِي (المعجم الأوسط) (٥١٧٩).

رضي الله تعالى عن قاصديها. يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى : (و قد رأيتُ جمع الأربعين أهمُّ من هذا كلّه، و هي أربعون حديثًا مشتملة على جميع ذلك. وكلّ حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدِّين)، وقد وصفها العلماء بأنّ مدار الإسلام عليه أو هو نصف الإسلام أو ثلثه أو نحو ذلك. يقول النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: (ثمّ التزمت فِي هذه الأربعين أن تكون صحيحة ومعظمها فِي صحيحي البخاري ومسلم) وأذكُرها يقول: محذوفة الأسانيد ليسهل حفظها ويعمّ الانتفاع بِها إن شاء الله.

وينبغي لكلِّ راغب فِي الأخرة أن يعرف هذه الأحاديث لما اشتملت عليه من المهمّات و احتوت عليه من التَّنبيه على جميع الطَّاعات، وذلك ظاهر لمن تدبره، والأحاديث الَّتي جمعها النَّووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى اثنان و أربعون حديثًا قد أطلق أربعين تغلِيبًا مع حذف الكسر الزّائد.

قال الشيخ عبد المحسن العباد فِي شرحه: (قد رُزِق هذا الكتاب للنّووي مع كتاب رياض الصّالحين القبول عند النّاس وحصل اشتهارهما والعناية بِهما و أوَّل كتاب ينقدح فِي الأذهان يُرشد إليه المبتدئون فِي الحديث الأربعين للإمام النّووي). و قد زاد عليها ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى ثمانية أحاديث من جوامع الكلم، فأكمل بِها العِدّة خمسين حديثًا، وشرحها فِي كتابه المسمّى جامع العلوم و الحكم فِي شرحِ خمسين حديثًا من جوامع الكلم.

وقد قمت بشرح هذه الأحاديث شرحًا مختصرًا يبيّن أهمّ ما اشتمل عليه كلّ حديثٍ مع ذكر ما يتضمّنه الحديث من قواعدٍ إن وجدت وسمَّيته "النَّفْحَة الزَّكِيَّةُ شَرْح الأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّة مَعَ الزِّيَادَةِ الرَّجَبِيَّة"(١)

أسـأل الله الإخـلاص فِـي القـول و العمـل وأن ينفـع قارئهـا ومُستمعها إنَّه جوادٌ كريم.

---

(١)المقصود بِالزِّيَادَةِ الرَّجَبِيَّة الأحاديث الَّتي زادها ابن رجب على النَّووي رحمهما الله تعالى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الأوَّل: "عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إلَى مَا هَاجَرَ إلَيْهِ".

الشَّرح:

هذا الحديث الأوّل رَوَاهُ إِمَامَا الْمُحَدِّثِينَ (الإمام البخاري والإمام مسلم فِي صحيحيهما).

قَوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ". النِّيَات: جَمْع

نيَّة، و هي: القَصد المقتَرِن بالفعل. **والهجرة**: هي الإنتقال من بِلاد الكُفر إلى بِلاد الإسلام خَوف الفِتنة.

قوله: **لِدُنْيَا يُصِيبُهَا**: **أيْ**: لغرض من أغراض الدّنيا يريد تحصيلها.

فالحديث يفيد الدّلالة على اشتراط النّية فِي الأعمال، إنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، و الأعمال هنا تشمل **الأعمال القلبية و الأعمال الّتي تكون بالبدن**. فالأعمال القلبية من الاعتقاد والأعمال الّتي تكون بعمل اللِّسان من ذكر الله ﷻ وقراءة القرآن وغير ذلك، والأعمال الّتي تكون بالجوارح من صلاة وصيام وحجّ وغيرها. فالحديث أفاد أنّ الأعمال بالنّيات فلا يكون العمل صحيحًا مقبولًا إلّا إذا اقترن بنية صالحة يرجى بِها وجه الله تعالى. والحديث أيضًا

يدل على أثر تفاوت النّية فِي أعمال النّاس، و كذلك الحديث دليل على فضل الهجرة إلى الله و رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ويؤخذ من الحديث: أنّ الأمُور بمقاصدها و أنّ نتائج الأقوال والأفعال والأحكام تختلف باختلاف مقاصد النّاس، فالنِّية هي الّتي تفرق بين عمل وعمل، وكذلك تفرق بين أنواع الأعمال نفسها من ناحية المقصود بِها، و إذا قال إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فالمَرء بنيته إذا أخلص النية لله عَزَّ وَجَلَّ أنَّه يثاب على العمل الّذي عمله.

و أفادنا الحديث العظيم إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ أنّه لا عمل إلّا بنية، و أنّ الأعمال معتبرة بنياتِها وأنّ ثواب العامل على عمله على حسب نيته.

وفضل الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ففضلها عظيم والنّبي ﷺ مثّل بذلك فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ.

و دُلّ الحديث على أنّ الإنسان يؤجر أو يؤزر أو يُحرم بحسب نيته. فالأعمال معتبرة بنياتِها؛ وأنَّه لا عمل إلَّا بنيَّة، وأنّ ثواب العامل على عمله على حسب نيته، وأنّ الإنسان كما ذكرت يؤجر أو يأثم أو يحرم بحسب نيته، وأنّ الأعمال بحسب ما تكون وسيلة له فقد يكون الشيء المباح الأصلي يكون طاعة إذا نوى به الإنسان خيرًا كالأكل والشرب إذا نوى بِهم التّقوِي على عبادة الله ﷻ وأنّ العمل الواحد يكون لإنسان أجر ويكون لإنسان حرمانًا كما أفاد الحديث.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الثَّانِي: " عَنْ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا قَالَ: "بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ. حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنْ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْت إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ: صَدَقْت . فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاَللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: صَدَقْت. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ. قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّك تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاك. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ. قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ. ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا،

ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟. قُلتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ ".

الشَّرح:

هذا الحديث العظيم الَّذي بيَّن فيه النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مراتب الدِّين الَّتي هي الإسلام والإيمان والإحسان، فعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحنُ جلوس عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان الصَّحابة رِضْوَان الله عَلَيْهِم يجلسون عند النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليتعلموا العلم النَّافع ويسألونه عمَّا يقربُهم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، يقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ راوي الحديث: بَيْنَمَا نَحْنُ

رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:٨] .

جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إذ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ: المقصود بِهذا الرَّجل: هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ تمثّل بِهيئةِ

رجل.

قوله: شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ: تَعجَّب الصَّحابة، أيْ: من هذا المنظر جاءهم رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ يعني: ثيابه بيضاء.

قوله: شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ. تعجبُّوا الصَّحابة من هذا الرَّجل الَّذي جاء ثيابه بيضاء ناصعةُ البَياض وشعره أسود و لا يُرى عليه أثر السَّفر، الإنسان إذا قدِم على النَّاس من مكان بعيد وهو ليس من أهل بلدهم؛ فإنَّه يُرى عليه أثر السَّفر. قال: وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ. حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، أيْ: إلى ركبتي النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنْ الْإِسْلَامِ " فهذا سأل النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإسلام فبيَّنَ

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أركان الإسلام، فقال: أَنْ تَشْهَدَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْت إِلَيْهِ سَبِيلًا، فهذه هي أركان الإسلام الخمسة.

قوله" قال: صَدَقْت" : السَّائل يسأل النَّبي ﷺ والمعروف أنَّ السَّائل هو الَّذي يحتاج إلى الجواب فيسأل النَّبي ﷺ فيقول صدقت.

قوله :" فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ!": أيْ: يسأله ويقول صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه!.

قوله: قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاَللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: صَدَقْت" أركان الإيمان ستّة لا يصح الإيمان إلَّا بِها جميعًا،

فمن ترك ركنًا منها بطل إيمانه :

الأوَّل: الإيمان بالله وهو الإعتقاد الجازم بوجود الله وربوبيته و ألوهيته وأسمائه وصفاته و وحدانية فِي ذلك، أيْ: بأنَّه لاشريك له فِي ربوبيته ولا فِي ألوهيته ولا فِي أسمائه و صفاته، قال الله تعالى: (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا)

الثَّانِي : الإيمان بالملائكة وهو الاعتقاد الجازم بوجودهم وأنَّ الله خلقهم من نور لعبادته وأنَّهم عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون لايستكبِرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون اللَّيل والنهار لايغتَرون، ولهم وظائف كثيرة فمنهم الموكلون بحمل العرش ومنهم الموكلون بالوحي ومنهم الموكلون بالجبال ومنهم خزنة

الجنَّة وخزنة النَّار ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد ومنهم الموكلون بقبض أرواح المؤمنين ومنهم الموكلون بقبض أرواح الكافرين ومنهم الموكلون بسؤال العبد فِي القبر، وأفضلهم جبريل روح القدس عليه السلام وهم كثيرون لا يعلم عددهم إلَّا الله لا يأكلون و لا يشربون ولا يتناسلون وخلقتهم عظيمة لهم أجنحة متباينون فِي عددها وقد أعطاهم الله قوة يتمثلون ويتشكلون فِي غير صورهم الَّتي خلقها الله عليها وقد حجبهم الله عنا فلا نراهم فِي صورهم الَّتي خلقوا عليها ولكن كشفهم لبعض عباده كما رأى النَّبي صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته له ستمائة جناح قد سد الأفق .

الثَّالث : الإيمان بالكتب وهو الاعتقاد الجازم بأنَّ الله أنزل على رسله كتبًا فيها أمره ونَهيه ووعده ووعيده وفيها نور

وهدى قال تعالى: (آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) أنزلها لأجل هداية النَّاس وإخراجهم من الظُّلمات إلى النُّور وهي: القران والإنجيل والتوراة والزبور وصحف إبراهيم وموسى ، وأعظمها التوراة والإنجيل والقرآن وأعظم الثلاثة وناسخها وأفضلها القران .

الرَّابع : الإيمان بالرّسل وهو الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه أرسل إلى عباده رسلًا مبشرين ومنذرين لهداية البشر وإخراجهم من الظُّلمات إلى النور قال تعالى: (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) وقال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) ونؤمن بذلك إجمالًا لا نعلم

عددهم كما قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) ونؤمن بِهم تفصيلًا كما فصلهم الله فِي كتابه، وأفضلهم الرّسل ثمّ الأنبياء وأفضل الرُّسل والأنبياء أولو العزم **وهم خمسة** : محمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم أجمعين وأفضلهم نبي الإسلام وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله الهاشمي قال تعالى: (وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) والإيمان بواحد منهم يستلزم الإيمان بِهم جميعًا، والكفر بواحد منهم كفر بجميعهم؛ لأنَّ كل واحد منهم يدعو إلى توحيد الله وطاعته قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا)

الخامس: الإيمان باليوم الآخر وهو الاعتقاد الجازم بيوم

القيامة والإيمان بكل ما أخبر الله به وأخبر به رسوله ﷺ ممّا يكون بعد الموت وحتّى يدخل أهل الجنَّة الجنَّة وأهل النَّار النَّار فنؤمن بأمور الغيب بعد الموت من سكرات الموت وعالم البرزخ ونعيم القبر وعذابه وفتنته وسؤال الملكين وأنَّ الشهداء أحياء عند ربِّهم يرزقون ونؤمن بيوم القيامة الكبرى الَّذي يحيي الله فيه الموتى ويبعث العباد من قبورهم ثمَّ يحاسبهم، وبالنَّفخ فِي الصور وهي ثلاث نفخات : نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة البعث والنشور، فيقوم النَّاس لربِّ العالمين حفاة عراة غرلا تدنو منهم الشَّمس ومنهم من يلجمه العرق، وأول من يبعث وتنشق عنه الأرض هو نبينا محمد ﷺ وتنشر صحف الأعمال فيكشف المخبوء ويظهر المستور ويحصل ما فِي الصدور ويكلم الله عباده ليس بينه وبينهم ترجمان ويدعى الناس

بأسمائهم وأسماء آبائهم ، ونؤمن بالميزان الَّذي له كفتان توزن به أعمال العباد وأبدانِهم وتنشر الدواوين فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره ، ويردون على حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل وريحه أطيب من المسك وآنيته عدد نجوم السَّماء وطوله شهر وعرضه شهر من شرب منه لم يظمأ منه أبدا ويحرم منه من ابتدع فِي الدِّين، والصِّراط منصوب على متن جهنم يتجاوزه الأبرار كل على حسب عمله ويزل عنه الفجار، ثمّ من نجا من أهل الجنّة يحبسون على قنطرة دون الجنَّة يتقاص أهل الإيمان بعضهم من بعض ثمّ كل يرى سبيله إمَّا إلى جنّة وإمَّا إلى النَّار، والجنَّة والنَّار مخلوقتان قبل الخلق لا تفنيان أبدا، والموت يؤتى به يوم القيامة على صورة كبش بين الجنَّة والنّار فيذبح فيصير الخلق فِي خلود

لا فناء بعده ، ونؤمن بشفاعة نبينا وسائر النَّبيين والملائكة والشُّهداء والصِّديقين والصَّالحين، ويخرج الله خلقا بغير شفاعة بفضله ورحمته .

السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره وهو الاعتقاد الجازم بأنَّ كلّ خير وشر بقضاء الله وقدره وأنَّ الله تعالى فعَّال لما يريد فكل شيء بإرادته ولا يخرج عن مشيئته وتدبيره وعلم كل ما كان وما يكون من الأشياء قبل أن تكون فِي الأزل وقدر المقادير للكائنات حسبما سبق به علمه واقتضت حكمته وعلم أحوال عباده وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم ، وملخصه : هو ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد قال تعالى: (سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا) وقال تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)

ومراتب القدر أربعة لا يتحقق إيمان العبد إلَّا بِها:

الأولى: العلم، وهي الإيمان بأنَّ الله عالم بكل ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون جملة وتفصيلًا، وأنَّه علم ما الخلق عاملون قبل خلقهم قال تعالى: (**إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**).

الثَّانية: الكتابة، وهي الإيمان بأنَّ الله كتب ما سبق به علمه من مقادير المخلوقات فِي اللَّوح المحفوظ وهو الكتاب الَّذي لم يفرط فيه من شيء فكل ما جرى وما يجري إلى يوم القيامة مكتوب عنده فِي أمّ الكتاب قال تعالى: (**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِين**).

الثَّالثة: المشيئة، وهي الإيمان بأنَّ كل شيء يجري فِي هذا الكون فهو بإرادة الله ومشيئته الدائرة بين الحكمة والرحمة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فمشيئته نافذة وقدرته شاملة ما

شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن إرادته شيء قال تعالى: (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا).

الرَّابعة: الخلق، وهي الإيمان بأنَّ الله خالق كل شيء لا خالق غيره ولا ربّ سواه وأنّ كل ما سواه مخلوق فهو خالق كل عامل وعمله وكل متحرك وحركته قال تعالى: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا)، وأنّ كل ما يجري من خير وشر وكفر وإيمان وطاعة ومعصية شاء الله وقدره وخلقه، وأنَّه يحب الإيمان والطَّاعة ويكره الكفر والمعصية.

والعباد لهم قدرة على أفعالهم واختيار وإرادة لما يصدر منهم من طاعة ومعصية لكن مشيئتهم وإرادتِهم تابعة لمشيئة الله وإرادته خلافًا للجبرية الَّذين يقولون: إنَّ العبد مجبر على أفعاله ليس له اختيار، وللقدرية الَّذين يقولون: إنَّ العبد له

إرادة مستقلة وأنَّه يخلق فعله وأنَّ إرادته ومشيئته خارجة عن إرادة الله ومشيئته والحقّ ما عليه أهل السنّة قال تعالى: (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)

قوله: "قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ. قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّك تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاك." هذا هو الإحسان أن يعبد المرء الله كأنَّه يرى الله. فإن كان لا يرى الله فِي هذه الحياة الدُّنيا فإنَّ الله يراه ومُطَّلع عليه، فأعلى مراتب الدِّين هو الإحسان.

قوله: " قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ." أيْ: متى تكون القيامة؟.

قوله:" قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟": أَمَارَاتِهَا: أيْ: علاماتِها.

قوله "قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا": يعني: الأَمَة تلد ومولودها هذا يصير سيّد للأَمَة.

قولـه:" وَأَنْ تَـرَى الْحُفَـاةَ ": حفـاة: جمـع حـافِي، وهـو مـن لا نعال له.

قوله " الْعُرَاةَ ": جمع عاري، وهو الَّذي لا لباس عليه.

قوله "الْعَالَةَ ": المقصود بِهم الفقراء .

قوله "رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ " أيْ: أهلُ الغَنم.

قوله " ثُمَّ انْطَلَقَ " أيْ: مشى هذا الرَّجل الَّذي جاءهم.

قوله" فَلَبِثْنَا مَلِيًّا " أيْ: فانتظرنا قليلًا بعد ذهاب هذا الرَّجل.

قوله: " ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟" الصَّحابة رَضِيَ الله عَنْهُمْ يتـأدبُون مـع النَّبـي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حتَّـى إنَّ مـن أدبِهـم كـان يقـول بعضـهم: وكنَّـا نتمنـى أن يـأتِيَ الرَّجـل الأعرابـي ليســأل النَّبــي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تقــديرًا واحترامًــا للنَّبــي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قوله: " قُلتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ " الإنسان إذا ما يعلم شيئًا يقول: الله أعلم، لكن لا تقول: و رسوله أعلم، إذا كان فِي وقت زمن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقول الله أعلم و رسوله أعلم. لأنَّ الرَّسول يخبِر عن الله ﷻ، لكن إذا ما يعلم شيئًا يقول: الله أعلم.

قوله:" قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ " إذًا الدِّين هو هذه الأشياء الثلاثة الَّتي تحوي الدِّين كله، الإسلام وهو بأركانه الخمسة و الإيمان بأركانه السِّتَّة و الإحسان الَّذي هو ركن واحد فِي الحديث.

يفيدنا هذا الحديث بأنّه حديث عظيم، أيْ: شامل لأصول عظيمة فِي الإسلام، ولذلك قال القرطبي عن هذا الحديث

يصلح أن يقال له: أمُّ السنَّة؛ لأنَّه حوى الدِّين كلّه، وفيه دليل على التّفريق بين الإسلام و الإيمان. يقول أهل العلم: الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افتَرقا وإذا افتَرقا اجتمعا إذا ذُكر الإسلام والإيمان مع بعضهما فيقصد بالإسلام الأعمال الظَّاهرة ويقصد بالإيمان الأعمال الباطنة لكن إذا جاء ذِكر كلّ واحدٍ منهما على انفراد يشمل الآخر، فإذا قيل الإسلام يشمل الإيمان وإذا قيل الإيمان يشمل الإسلام، يعني إذا اجتمع افتَرق فِي المعنى وإذا افتَرقا **أيْ**: ذِكر كلّ واحدٍ منه فقط منهما فِي حديث أو آية اجتمعا فِي المعنى الَّذي هو الإسلام والإيمان.

❊وفِي الحديث دليل على أنَّ أعظم مرتبة يتعامل فيها العبد مع ربِّه هي مرتبة الإحسان، **والإحسان مرتبتان**: ❊مرتبة طلب أن تعبد الله كأنَّك تراه: **أيْ**: بأنْ يعتَريك من الذِّل والخضوع.

*مرتبة الخوف من الله ﷻ: أن تعلم بِأنّه يراك ﷻ وهي مرحلة الهروب والخوف من الله إلى الله ﷻ وهذه المرتبة أقل من الأولى والخاسر خسران عظيم هو الَّذي لم ينل لا الطلب ولا الهرب وكثير من النَّاس يعمل أعمالًا لا راغبًا فيها ولا راهبًا والعمل كما تقدم معنا فِي الحديث السَّابق لابد أن يكون بنية ليثاب المرء عليه.

* يفيدنا الحديث أيضًا على أنَّ الملائكة يتشكلون فِي هيئة رجال، لكن هذا ما فِيه دليل على جواز التَّمثيل؛ لأنَّهم ليسوا الَّذي صنعوا ذلك؛ بل الله ﷻ هو الَّذي جعلهم على هذا الحال، وأيضًا نستفيد من جلوس جبريل و وضع ركبتيه عند ركبتي النَّبي ﷺ ويديه على فخذيه بحسن الأدب فِي الجلوس بين يديْ المُتعلم بأنْ يتأدب المتعلم ليستفيد من المعلم.

*وأيضًا الحديث ذكر جملة من أشراط السَّاعة ومن ذلك تأويل أن تلد الأمَة ربتها فبعض أهل العلم يؤولوه على كثرة العقوق حتَّى يعامل الابن أمُّه كأنَّها خادمة و هذا مشاهد فِي واقعنا المعاصر وكثير أيضًا، فليحذر الإنسان أن يعامل أمُّه كأنَّها خادمة فلا يقدر لها منزلتها العظيمة.

*والحديث فيه بيان لمراتب هذا الدِّين كما ذكرنا، ولذلك قال النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا جبريل أتاكم يعلمّكم أمر دينكم، والمقصود **بالدِّين** هنا هو: الإسلام والإيمان والإحسان، فهذه مراتب الدين الثَّلاثة العظيمة الَّتي جاء ذكرها فِي هذا الحديث العظيم جاء فيه ذكر هذه الأشياء.

ونستفيد من الحديث أنَّ السَّائل كما يسأل للتَّعلم فقد يسأل للتَّعليم، فالآن جبريل منزل من الله عَزَّ وَجَلَّ يعلم النَّبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعلِّم أمّته أو يرشد أمّته فالسَّائل كما يسأل للتَّعليم فقد يسأل كما يسأل ليتعلم فيسأل للتَّعليم فيسأل من عنده علم بشيء من أجل أن يسمع الحاضر الجواب أو من أجل أن يُسمع الحاضرون الجواب وأنَّ الملائكة كما ذكرنا تتحول عن خلقتها وتأتِي بأشكال الآدميين وليس فِي هذا دليل على جواز التَّمثيل، فبعض النَّاس قد يقول التَّمثيل يجوز فجبريل جاء بصورة إنسان! فهذا ليس فيه دليل على جواز التَّمثيل؛ لأنَّ التَّمثيل نوع من الكذب، وما حصل لجبريل فهو بإذن الله وبقدرة الله ﷻ .

*وأيضًا يفيدنا الحديث البدء بالأهم فالأهم، فبدأ أوّل شيء بالشَّهادتين اللَّتين هما الأساس وأصل الدِّين والإيمان، ثمَّ جاء بتفسير الإسلام و بدأ بالإيمان بالله فِي تفسير الإيمان، وأنَّ أركان الإسلام كما ذكرنا هي الخمسة المذكورة،

وأصول الإيمان بالله ﷻ ستّة هي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأنّ هذه الإيمان بأصول الإيمان السِّتّة من جملة الإيمان بالغيب؛ وإنَّما مراتب الدِّين متفاوتة، الإسلام والإيمان والإحسان وأنَّ أعلاها هي درجة الإحسان، وإنَّ علم السَّاعة ممَّا استأثر الله بعلمه، ولكن جاء فِي الأحاديث ذكر كثيرة من علامات السَّاعة.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الثَّالث: "عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَلَّا إلَهَ إلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ".

الشَّرح:

هـذا الحـديث الثَّالـث مـن الأحاديـث الَّتـي أوردهـا الإمـام النَّووي فِي كتابه النَّفيس (**الأربعين النَّووية**) وهـو حـديث رواه البخـاري ومسـلم فِـي صـحيحيهما. قولـه:" **بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ**" بُنـي: **أيْ**: أُسِّـس، يعنـي الإسـلام بُنـي علـى أُسُـس خمسة.

قوله:" **عَلَى خَمْسٍ**": **أيْ**: خمس ركائز و دعائم يقوم عليها،

فالحديث فيه بيان ركائز الإسلام الَّتي يكون العبد بِها مسلمًا وبفقدها يمرق من الدِّين وهـي: الشَّـهادتان والصَّـلاة والزَّكـاة والصَّـوم والحـج. فالحـديث لـم يـذكر كـلّ الواجبـات وكـل الفرائض؛ لأنَّ المعلـوم أنَّ الواجبـات لـم تـرد جملـة واحـدة؛ وإنَّما تأتِي تباعًا حسب ما ينزل على النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلـم يذكر الجهاد فِـي الأركـان الخمسـة الَّتـي هـي أركـان الإسـلام ودعائمه؛ لأنَّ الجهاد قد يكون فرض عين وقـد يكـون فـرض كفايـة، وقـد يكـون مسـتحبًا، وأيضًـا لا يصـح إلَّا إذا وجـدت

شروطه وأسبابه وانتفاء موانعه. هذا الحديث من حيث الإجمال **يعني**: ذَكَر الرَّكائز والأصول والأُسس الَّتي يُبنى عليها دين الإسلام، و فِي قاعدة فِي الامتثال فِي الدِّين أنَّه تقدم الرّكائز على التوابع. **يعني**: تقدم الأصول على غيرها، وهذا الحديث الَّذي يقول: بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ فيه بيان عظم هذه الأركان الخمسة الَّتي هي أهم أركان الدِّين هو هذه الخمسة الَّتي بني عليها الإسلام أنَّها جاءت فِي حديث جبريل الَّذي كان قبل هذا الحديث. جاءت فِي حديث جبريل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأنَّ الإسلام يُبنى على خمس، وهذا البناء هنا فيه التَّشبيه معنوي بالبناء الحسي، فكما أنَّ البنيان الحسي لا يقوم إلَّا على أعمدةٍ، فكذلك الإسلام إنَّما يقوم على هذه الخمس، و الاقتصار على هذه الخمس لكونِّها الأساس لغيرها وما سواها؛ فإنَّه يكون تابعًا لها.

أورد النَّووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى هذا الحديث بعد حديث جبريل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو مشتمل على هذه الخمس لِمَ اشتمل

عليه هذا الحديث من بيان أهمية هذه الخمس؟ يعني: مع أنَّها ذكرت فِي حديث جبريل لكن أفردت لأهميتها، وأنَّها الأساس الَّذي بُني عليه الإسلام، ففي معنى زائدٍ على ما جاء فِي حديث جبريل. هذه الأركان الخمسة الَّتي بُني عليها الإسلام أوَّلها الشهادتان وهما الأساس والأصل وأُسُس الأسس الأركان تابعة للشَّهادتين، فلا تنفع هذه الأركان ولا غيرها من الأعمال إذ لم تكن مبنية على هاتين الشهادتين ، وهما عن الشهادتين ألَّا إله إلَّا الله وأنَّ محمّدًا رسول الله لابد من أن يأتِي بِهم العبد ولابد أن يكونا متلازمتين، فالشَّهادتين شهادة ألَّا إله إلَّا الله معناها: لا معبود بحق إلَّا الله، ومقتضاها الإخلاص لله فِي جميع العبادات، وشهادة أنَّ محمدًا رسول الله هي: الإيمان و الإقرار بأنَّه مرسل من الله ﷻ وأنَّه لا نبي بعده، ومقتضى شهادة أنَّ محمّدًا رسول الله هي: أن تكون إلَّا وفق ما جاء به الرَّسول ﷺ، وهذان أصلان لابد منهما فِي قبول العمل، وقد ذكر العلماء أنَّ شرطي قبول

العمل أو ركني قبول العمل هما: الإخلاص لله وتجريد المتابعة للرّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فلم يذكر الإيمان بالأنبياء والملائكة وغير ذلك ممَّا تضمنه سؤال جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لأنَّ شهادة لا إله إلَّا الله هي الأساس مع شهادة أنَّ محمّدًا رسول الله وشهادة أنّ محمّدًا رسول الله هي تصديق الرَّسول فِي كلِّ ما جاء به؛ لأنَّ مقتضى شهادة لا إله إلَّا الله هو: تصديق خبر الرَّسول وامتثال أمره واجتناب نَهيه وألَّا نعبد إلَّا بما شرعه هذا النَّبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فيستلزم جميع ما ذكر من المعتقدات شهادة أنَّ محمَّدًا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. هذه الأركان الخمسة الَّتي هي الدَّعائم لهذا الدِّين ولا يقوم الدِّين بدونِها، فلا بد من الإتيان بِها ليصح دين المرء.

و هذه الأركان وردت فِي الحديث مُرتَّبة على حسب أهميتها، ولذلك بدأ ذكر الشَّهادتين الَّذين هم الأساس لكلِّ أحد يتقرب به إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، ثمَّ بالصَّلاة الَّتي تتكرر فِي اليوم

خمس مرات، وهي صلة وثيقة بين العبد و ربَّه، ثمَّ الزَّكاة الَّتي تجب فِي المال إذا بلغ نصابًا وحال عليه الحول، ثمَّ الصِّيام الَّذي هو شهر واحد فِي السنَّة، وهو عبادة بدنية نفعها غير متعدي؛ ولكنّ الصَّلاة والزَّكاة نفعها متعدي، ثمَّ الحجّ الَّذي لا يجب فِي العمر إلَّا مرة واحدة على المكلف بشرط أن يكون مُستطيعًا.

فيستفاد من هذا الحديث

* أهمّية هذه الأركان الخمس لكون الإسلام بُني عليها وتشبيه الأمور المعنوية فِي الأمور الحسيَّة لتقريرها فِي الأذهان والبدء بالأهم فالأهم، وأنَّ الشَّهادتين هما الأساس فِي نفسهما وهما أساس لغيرهما؛ فلا يقبل عمل إلَّا إذا انبنى عليهما، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا.

*يفيد الحديث أيضًا: تقديم الصلاة على غيرها من

الأعمال؛ لأنَّها صلة بين العبد و ربِّه؛ ولأنّها أوَّل الأركان بعد الشهادتين.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الرابع: " عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ-: "إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَمْ سَعِيدٍ؛ فَوَ اللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا. وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا".

الشَّرح:

قولــه: "حَــدَّثَنَا رَسُــولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَهُــوَ الصَّــادِقُ الْمَصْدُوقُ": لأنَّ النَّبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يخبرهم بأمر غَيْبي فهو الصَّادق، يعني: فيما يقوله.

قوله: " الْمَصْدُوقُ": أيْ: فيما أُوحي إليه؛ لأنَّ جبريل يأتيه بالصِّدق.

قولـه: " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً": النُّطفة: هي الماء الصَّافِي، والمراد به هنا: المَنِيّ.

قوله: " ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ": العلقة: هي قطعة الدَّم الَّتي لم تيبَس.

قوله: "ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ": والمضغة: هي قطعة

اللّحم بقدر ما يُمضغ، والحديث دليل على أنَّ الجنين يتقلب حتَّى يكتمل و يكون جنينًا ذو جسد وروح لمائة وعشرين يومًا، فالحديث نستفيد منه عناية الله ﷻ بخلقه حتَّى و هُم فِي بطون أمهاتِهم. حيث وكّل بِهم ملائكة ينفخون الرُّوح ويكتبون هذه الأربع، هذه الأربع مكتوبة فِي صحف الملائكة، **والكتابة على أربعة أنواع**:

١-كتابة عامة شاملة، وهي الكتابة فِي اللَّوح المحفوظ.

٢-كتابة التَّقدير العمري: وهو الَّذي معنا فِي هذا الحديث الملائكة يكتبون أربعة أشياء للإنسان فِي كل عمره.

٣- كتابة التَّقدير السَّنوي: وهذا يكون فِي ليلة القدر، و يضيف بعض العلماء التَّقدير اليومي لقول الله تعالى: "**كُلّ يوم هو فِي شأنٍ**"، وفِي التَّقدير العام الشَّامل فِي اللَّوح

المحفوظ لا يتغير، أمَّا العمري فهو يتغير.

٤- كتابة الأعمال بعد وقوعها: وتكون هذه بأيد الملائكة، على اليمين واحد من الملائكة وعلى الشمال واحد، يسجلون على الإنسان كل ما يقول، نحن الآن نسجل بمسجل الشَّريط لا يفوت شيء من الإنسان حتَّى النَّفَس يوجد فِي هذا الشَّريط، هم أيضاً الملائكة يكتبون كل شيء، (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) [ق:١٨].، و((مِنْ قَوْلٍ)): هذه يقول علماء البلاغة: " إنَّ النَّكرة فِي سياق النَّفي تكون للعموم "، أيْ: أي قول تقوله عندك رقيب حسيب حاضر لا يغيب عنك.

فالحديث فيه؛ الحذر من دسائس القلب فإنَّها تحول بين العبد وبين الخاتمة. ويؤخذ من الحديث قاعدة أنَّ الأعمال

بـالخواتيم وأنَّ العبْـرة بالمخـابر لا بالمظـاهر، وأنَّ الإنسـان يجب أن يكون على خوف و رجاء؛ لأنَّ من النَّاس من يعمل بالخير فِي حياته، ثمَّ يختم له بخاتمة السُّوء. وأنَّه لا ينبغـي لـه أن يقطع الرَّجاء، فإنَّ من يعمل بالخير فِي حياته، ثمَّ يختم لـه بخاتمة السُّوء. وأنَّه لا ينبغي له أن يقطع الرَّجاء، فإنَّ الإنسـان قد يعمل بالمعاصي طويلًا ثمَّ يمـن الله عليـه بالهـدى فيهتـدي فِي أخر عمره. فالحديث بيَّن أطـوار خلـق الإنسـان فِـي بطـن أمِّـه وأنَّ نفـخ الـرُّوح يكـون بعـد مئـة وعشـرين يومًـا، وبـذلك يكون إنسانًا وإنَّ من الملائكة من هو مُوكل فِي الأرحام.

و يفيدنا الحديث أيضًا:

* أنَّ الإيمان بالغيب والإيمان بالقدر، وأنّـه سبق فِـي كـلّ مـا هو كـائن، والحلـف مـن غيـر اسـتحلاف لتأكيـد الكـلام، وأنَّ الأعمال بالخواتيم، وأنَّه ينبغي أن يجمع الإنسان بين الخوف

والرّجاء، و على من أحسن أن يخاف سوء الخاتمة ومن لا يقنط من رحمة الله ﷻ، وأنَّ الأعمال سببًا لدخول النَّار و سببًا لدخول الجنّة، وأنَّ من كتب شقيًا لا يعلم حاله فِي الدّنيا، فكذلك عكسه.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

الحديث الخامسُ: "عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللهِ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ: رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ". وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ" (١).

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:٢٦٩٧]، وَمُسْلِمٌ [رقم:١٧١٨].

الشَّرح:

قوله: "مَنْ أَحْدَثَ" أيْ: أنشأ وابتدع.

قوله: "فِي أَمْرِنَا" المراد فِي شرعنا و فِي ديننا.

قوله: "فَهُوَ رَدٌّ" أيْ: مردود على صاحبه.

فالحديث ميزان للأعمال الظَّاهرة فلا تأتِي بعمل إلَّا وفق الشَّرع.

❊فما هو ميزان الأعمال الباطنة ؟

❊النِّية، النِّية تعتبَر ميزان للأعمال الباطنة وتجريد المتابعة تعتبَر ميزانًا للأعمال الظَّاهرة.

فهذا الحديث مع الحديث الأوَّل الَّذي هو حديث عمر بن الخطاب "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى" اشتملا الدِّين كلّه، فالحديث الأوَّل ميزان الأعمال الباطنة وهذا الحديث الخامس هو ميزان الأعمال الظَّاهرة، فالأوَّل إذا اختل وقع الإنسان فِي الشِّرك، والحديث الخامس إذا

اختل عمل الإنسان وقع فِي البدعة.

فالحديث دليل على تحريم إحداث أيّ شيء فِي الدِّين، ويؤخذ أيضًا من الحديث قاعدة فقهية وهو كلّ شيء وجد سببه على عهد النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و لم يفعله فالتَّعبد به بدعة، وكذلك يؤخذ قاعدة من النَّهي عن العمل يقتضي فساده، فأُخِذ هذا من قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ". وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ".

هذا الحديث حديث عظِيم جدًّا وعظَّمته العلماء وقالوا: أنَّه أصل فِي ردّ كل المحدثات و البدع والأوضاع المخالفة للشَّريعة، فهو أصل فِي ردّ البدع فِي العبادات، و فِي ردّ العقود المحرّمة، و فِي ردّ الأوضاع المحدثة على خلاف

الشّريعة فِي المعاملات فِي عقود الأنكحة، وما أشبه ذلك.

ولهذا جعل كثير من أهل العلم هذا الحديث متمسك به فِي ردّ كل المحدثات، كلّ بدعة من البدع الّتي أُحدثت فِي الدِّين، ولهذا ينبغي لطَّالب العلم أن يحرص عل هذا الحديث حرصًا عظيمًا وأن يحتج به فِي كلِّ صورة يحتاج إليه فِي ردّ البدع والمحدثات. يعني: سواء البدع القولية أو الاعتقادية أو الفعلية فإنَّه أصلٌ فِي هذا كلّه، فهذا الحديث أصلٌ عظيم فِي ردّ البدع و المحدثات فِي الدِّين.

فالبدعة ما معناها؟ ما ضابط البدعة؟ هل هناك بدعة حسنة؟ ما معنى قول النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من سنَّ فِي الإسلام سنَّة حسنة؟

البدعة شرعا ضابطها: التَّعبد لله بما لم يشرعه الله أو تقول:

التَّعبد لله تعالى بما ليس عليه النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و لا خلفاؤه الرَّاشدون. فالتَّعريف الأوّل: مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهم شُرَكاءُ شَرَعُوا لَهم مِنَ الدِّينِ ما لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ﴾.(١)

التَّعريف الثَّانِي: مأخوذٌ من قول النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" عليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ، وإيَّاكم ومُحدَثاتِ الأُمورِ؛ فإنَّ كُلَّ بِدعةٍ ضَلالةٌ"(٢)، أمَّا الأمور العادية الَّتي تتبع العادة والعرف هذه لا تسمَّى بدعة فِي الدِّين وإن كانت تسمَّى بدعة فِي اللُّغة ولكن ليست بدعة فِي الدِّين وليست الَّتي حذَّر منها الرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وليس فِي الدِّين بدعة حسنة؛لأنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "كُلَّ بِدعةٍ ضلالة"

---

(١) [الشورى-٢١] .(٢) أخرجه مطولًا أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٤)، وأحمد (١٧١٤٤) باختلاف يسير، وابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله) (٢٣٠٥) واللفظ له.

و "كُلَّ": من صيغ العموم، والسنَّة الحسنة: هي الَّتي توافق الشَّرع وهذه تشتمل مثل أن يبدأ الإنسان بالسُّنّة بالعمل بِها أو يبعثها بعد ما تركها النَّاس يعني: سنة مهجورة. أو يفعل شيئًا يسنَّه وسيلة لأمر متعبد به، فهذه ثلاثة أشياء.

الأوَّل: إطلاق السنّة على من ابتدأ العمل، و يدلّ له سبب الحديث فإنَّ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حثَّ على صدقة القوم الَّذين قدِموا عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و كانوا أهل فقرٍ شديدٍ، فكلّ جاء بما يستطيعه، و جاء أحد الصَّحابة بِسُرةٍ كَبيرة ورماها فِي حجر النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَن سَنَّ سُنَّةً حَسنةً فعمِلَ بِها، كانَ لَهُ أجرُها وَمِثْلُ أجرِ مَن عملَ بِها.."، فهذا الرَّجل سنَّ سنَّة ابتداء عمل لا ابتداء شرع.

الثَّانية: السنَّة الَّتي تركت ثمَّ فعلها النَّاس فأحياها يعني: تركها

النَّاس ثمَّ هذا الإنسان أحياها، فهذه قيل عنها "سنَّة" بمعنى أحياها و إن كان لم يشرعها من عنده **مثل**: صلاة التَّراويح تركها النَّاس فِي عهد أبي بكر بانشغال أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والمسلمين بحروب الرِّدة ، أمر فِي خلافته فجمع النَّاس أُبيّ ابن كعب، فصلَّى بِهم التَّراويح مع إنَّ أوَّل من صلَّى هو النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثَّالث: أن يفعل شيئًا وسيلة لأمر مشروع **مثل**: بناء المدارس وطبع الكتب، فهذه لا يتعبد به بذاته؛ ولكن لأنَّه وسيلة لغيره، فكلّ هذا داخل فِي قول النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "مَن سَنَّ سُنَّةً حَسنةً فعمِلَ بِها ، كانَ لَهُ أجرُها وَمِثْلُ أجرِ مَن عملَ بِها".

فحديث "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ": هذا يفيد وجوب الإخلاص لله عَزَّ وَجَلَّ و أنَّ العمل لا يصح و لا يثاب عليه الإنسان إلَّا إذا

اقترن بالنِّية الحسنة.

و حديث "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ": يفيد وجوب تجريد المتابعة للرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

الحديث السّادس: " عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ"(١).

الشَّرح:

قوله: "بَيِّنٌ": يعني: ظاهر.

قوله: "إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَ إِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ": يعني: ظاهر التَّحريم وظَّاهر التَّحليل.

قوله: "وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ" أيْ: مُشكَّلات لا يتَّضح فيها الحلِّ ولا الحُرمة.

قوله: "فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ" أيْ: سَلم دينه وعرضه من الطَّعن فيهما.

قوله: "يَرْتَعَ فِيهِ" يعني: تأكل منه ماشيته.

قوله: "أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَّا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ"

الحِمَى: المواضِع المَحمية.

فالحديث يبين منزلة القلب، وأهمية هذه المنزلة، وأنَّ عليه

صـلاح الجـوارح أَلَّا وَإِنَّ حِمَـى اللهِ مَحَارِمُـهُ، أَلَّا وَإِنَّ فِـي الْجَسَـدِ مُضْـغَةً إِذَا صَـلَحَتْ صَـلَحَ الْجَسَـدُ كُلُّـهُ، وَإِذَا فَسَـدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ.

يفيدنا الحديث:

* أنَّ الأشياء تنقسم إلى ثلاثة اقسام: الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَ الْحَرَامَ بَـيِّنٌ، والأُمُـورُ المُشْـتَبِهَاتٌ. حـلال واضـح بـيِّن **مثـل**: أكـل الخبز، وحرام واضح بيِّن **مثل**: الخمر والزِّنا، وشيء ثالث مشـتبه فِـي الـنَّفس ومـتردد تـتردد فيـه الـنَّفس بـين الحـلّ والحُرمة، فالإنسان فِي هذه الحالة له حالتان:

الحالـة الفاضـلة أو الحالـة الطَّيبـة: أن يبتعـد عـن الشُّـبهات، ونتيجة هذه الحالة الفاضلة أنَّه استبرأ لدينه وعرضـه **يعني**: لا يقـدح فِـي دينـه ولا فِـي عرضـه. **الحالـة المذمومـة**: هـي مثـل

الرَّاعي الَّذي يرعى حول الحمى حول المناطق المحمية.

يقول: لست داخل المنطقة المحمية أو المناطق المحمية؛ لكنّه حولها فلذلك قال النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوشك أن يرتع فيه يعني: أن تأكل الماشية فِي هذه المحمية، وفِي قاعدة ذكرها أهل العلم وهي قاعدة سدّ الذرائع يعني: الذَّرائع الَّتي توصل للمُحرمات فإنّها تسدّ وتحريم الوسائل إليها بمعنى كلّ شيء يوصل إلى المُحرم فهو مُحرم مثلًا: شخص يقول: أنا كلَّما سهرت فوَّت صلاة الفجر! نقول له: السَّهر مُحرَّم عليك. إذا كان السَّهر يقتضي منه أن تفوِّت صلاة الفجر فهذا محرّم. والقاعدة الأخرى الَّتي هي فِي حياة القلوب، فالقلب يعتبَر ملك الأعضاء، فالعناية بالقلب تكون مقدمة على الجوارح.

هذا الحديث "**حديث النعمان ابن بشير**" عدَّه العلماء ثلث أو

ربع الدِّين، فإنَّ الإمام أحمد قال: أحاديث الإسلام تدور على ثلاثة أحاديث:

١-حديث عمر بن الخطاب "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى".

٢-حديث عائشة السَّابق "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ".

٣-و هذا الحديث حديث النعمان ابن بشير، فحديث النّعمان هذا دلَّ على إنَّ الأشياء منقسمة إلى حلال بيِّن وحرام بيِّن وإلى مشتبه، فالحلال البيِّن والحرام البيِّن واضح الحكم فيهما، والمشتبه جاء حكمه فِي هذا الحديث، فالحلال يحتاج إلى نيّة؛ لأنَّك إذا نويت أكل الحلال تؤجر على ذلك. فإذا قصدت بأكلك حلالًا تتقوى على الطَّاعة ويحتاج إلى

نيّـة وإلـى متابعـة وعـدم إحـداث فِـي أمـور العبـادات والمعاملات، وكذلك الحرام يحتاج إلى نيّة فِي تركه حتَّى يـؤجر الإنسـان علـى التّـرك، فصـار هـذا الحـديث ثلـث الإسلام.

أبو داوود "صاحب السّنن " جعل الأحاديث الَّتي عليها مدار الإسلام أربعة:

١-حديث عمر بن الخطاب "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى".

٢-وحديث عائشة "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ".

٣-حديث النّعمان بن البشير "إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ".

٤- حديث تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ "الدِّينُ النَّصِيحَةُ" وهو حديث السَّابع من هذا الكتاب.

فحديث النّعمان الَّذي نحن فيه الآن موضعه عظيم فِي الشَّريعة فهو ثلث الدِّين لمن فهمه، ففيه أنَّ الأحكام ثلاثة :

١-حلال واضح لا اشتباه فيه.

٢- حرام واضح لا اشتباه فيه.

٣- المشتبه الَّذي لا يعلمه كثير من النَّاس، ولكن يعلمه بعضهم.

فالحلال البيِّن الواضح من أتاه فهذا على بينة بيّن للنَّاس، والحرام البيّن الواضح أيضًا بيّن للنَّاس لا اشتباه فيه، فمن انتهى عنه يعني: أنَّ من ابتعد عن الحرام البيِّن فهو مأجور، ومن وقع فيه فهو مأزور، وهناك ما هو مشتبه، و من أجل هذا

المشتبه جاء هذا الحديث من النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والَّذي كان رؤوفًا رحيمًا بأمَّته فقال: "الْحَلَال بَيِّنٌ، وَ الْحَرَام بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ" الْحَلَال بَيِّنٌ مثل: أنواع المأكولات المباحة تأكل اللَّحم تأكل الخبز تشرب الماء كلّها طيبة، وأنواع العلاقات المالية المباحة الواضحة أنواع الإيجار الواضحة هذه كلّ الأمور الواضحة تدخل فيه، وَ الْحَرَام بَيِّنٌ: تدخل فيه الأمور المحرَّمة، والثَّالث: هو الَّذي مشتبه يعني: بين هذه الأمور قال: "وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ" فهذا هو الَّذي يحتاج المشتبه أن يتوقى وللعلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى تفسيرات عديدة لهذا المشتبه، لكنّه يكون مثل المشتبه المذكور فِي القرآن قال تعالى:" هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ

تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ " [آل عمران-٧].،فالمشتبهات المذكورة فِي الآية أيْ: الأمور الَّتي ليست واضحة، وأمّ الكتاب للأشياء المحكمة الواضحة البيّنة فيستغني المسلم بالمحكم عن المتشابه، فكذلك هنا ينبغي للمسلم أن يجتنب الأمور المشتبهة الَّتي تخفى على كثير من النَّاس لكي لا يقع فِي هذه الأشياء الَّتي تضره فِي دينه، فالحال فِي هذا الحديث يدل على هذا المعنى الَّذي ينبغي للمسلم أن يجعله فِي نظره ليحطاط لدينه، وأن يستغني بالحلال عمَّا فيه اشتباه ولا يُقْدم على شيء مشتبه لكي لا يقع فِي ما يؤدي به إلى الحرام.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

الحديث السّابع: "عَنْ أَبِي رُقَيَّةَ تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ

وَعَامَّتِهِمْ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم: ٥٥].

قوله: "قُلْنَا: لِمَنْ؟": يعني: الصَّحابة لمَّا سألوا سمعوا النَّبي ﷺ يكرر ذلك ثلاث مراتٍ.

قوله: "وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ": المراد بِهم: أئمة الدِّين وأئمة السُّلطة. فأئمة الدِّين هم العلماء، وأئمة السُّلطة هم الملوك والأمراء.

الحديث يدلّ على أهمِّية النَّصيحة وعظيم منزلتها، فجعلها النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي الدِّين كلّه.

---

*النَّصيحة لله باختصار هي: أن يمتثل الأوامر، أوامر الله ﷻ وأن يتعبد الله ﷻ وأن يؤمن بالله ﷻ الإيمان الكامل المقتضي لفعل الواجبات وترك المنهيات.

*النَّصيحة لكتابه هي: أن يؤمن بأنَّ ما فِي كتاب الله هو كلام

الله ﷻ على حقيقته وأن يقيم حدوده وحروفه وتلاوته و تدبره.

*النَّصيحة للرَّسول ﷺ هي: الإيمان بما جاء به وتصديق خبَره وامتثال أمره واجتناب ما نَهى عنه وزجر.

*النَّصيحة لأئمة المسلمين: تكون بعدم الخروج عليهم و الدُّخول فِي طاعتهم، وطاعتهم فيما أمروا ما داموا أنَّهم على الحقِّ، و أمرهم على الحق، وأيضًا إرشادهم لمَا فيه خير.

*النَّصيحة لعامَّة المسلمين: تكون بإرشادهم لمَا فيه خير وكفّ الأذى عنهم.

فَفِي الحديث حرص الصَّحابة رضي الله عنهم على الخير، فلذلك قالوا: لمَّا قال ﷺ: الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ؟ لمَّا رأوا هذا الحرص الشَّديد من الصَّحابة يدلّ على عنايتهم

بِهذا الدِّين والحرص على أن يفعلوا ما يستطيعون ممَّا سمعوه من النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهنا قاعدة فِي معاشرة النَّاس نأخذها من هذا الحديث وهي: "إنَّ الدِّين قائمٌ على التَّناصح وليس التَّفاضح"، وأيضًا قاعدة فِي التَّوجيه والإرشاد وهو فِي الأهمّ ثمَّ الأهمّ النَّصيحة لله، ولكتابه، ولرَّسوله، ولأئمةِ المسلمين وعامَّتهم.

فأوَّلًا بدأ بالنَّصيحة لله فهو الأهمّ، ثُمَّ لكتابه، ثُمَّ لرسوله، وهكذا، فهل الكتاب أهمُّ من الرَّسول؟ لاشك أنَّهم متلازمان؛ لكن الكتاب مستمر وهو بين أيدينا، والرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توفِيَ بعد ما علَّم النّاس الخير. فهذا الحديث "حديث تميم الدَّاري" من الأحاديث الكلية العظيمة الَّتي اشتملت على الدِّين كله على حقوق الله وحقوق كتابه

وحقوق رسوله وعلى حقوق عباده فليس ثَـمَّ أجْمع فِي بيان تلك الحقوق من لفظ النَّصيحة.

النَّصيحة هذه فعيلة من النُّصح و أصل النّصح فِي لغة العرب فُسّر بأحد التفسيرين:

الأوَّل: النُّصح بمعنى الخُلوص من الشَّوائب والشِّرْكة **"اشتراك"** فيقال: أسد نَاصح أو نصوح **أيْ**: لم يشبه شائبة، وفسَّر بأنَّه التئام شيئين بحيث لا يكون ثَمَّ تنافر بينهما، فيعطي هذا الصِّلة بِها حتَّى يكون التئام ما بين هذا وهذا.

والنَّصيحة عُرِّفت فِي هذا الحديث بأنَّها إرادة الخير للمنصوح له وهذا يتعلق بنصح أئمة المسلمين وعامّتهم، أمَّا الثَّلاثة الأُول النَّصيحة لله ولكتابه ولرسوله إنَّما تكون على المعنى الأوَّل للنَّصيحة وهو الالتئام أو الصِّلة بين الذَّاتين

على التئام بحيث يكون هذا قد أعطى حقّ هذا فلم يكن بينهما تنافر ومعلوم أنَّ العبد فِي صلة بربِّه وهذه الصِّلة توجب عليها حقوق كثيرة منها ما يكون واجبًا ومنها ما يكون مستحبًا، وكذلك فِي حقِّ القرآن وكذلك فِي حقِّ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلذلك النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: الدِّين النَّصيحة وجعل الدِّين كلّه النَّصيحة؛ لأنَّه بِهذا قد اشتمل على هذه الأمور العظيمة والحقوق الكاملة ولذلك قال بعض العلماء: الدِّين النَّصِيحَة يعني: أنَّ معظم الدِّين وجُلَّ الدِّين النَّصيحة، وهذا على أخذ نظائره كقوله الدُّعاء: هو العبادة، والحج: عرفة. لكن إذا تأملت فِي كون هذه الأشياء لها النَّصيحة رأيت أنَّها جمعت الدِّين كله فِي العقائد وفِي العبادات والمعاملات وفِي حقوق الخلق وحقوق من له الحق فِي جميع صوره.

قوله: " قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ لِلَّهِ": فالنَّصيحة لله هنا: هي كلمة جامعة لأداء حقّ الله جَلَّ وَعَلَا، فحقُّ الله ﷻ: هو الإيمان به بربوبيته وألهيته وأسمائه وصفاته والإيمان الَّذي يقتضي عدم الشِّرك به، وأن يوحد الله فِي ألوهيته و ربوبيته وأسمائه وصفاته وأن يخلص العبادة له دون من سواه.

والنَّصيحة لكتاب الله بقراءته وتدبره و العمل فيه بأن يحلّ المسلم حلاله ويحرم حرامه ، ويؤمن بمتشابِهه ويعمل بمُحكمه، ويتلوه أناء اللَّيل وأطراف النَّهار.

والنَّصيحة للنَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإيمان به وتصديق خبره وامتثال أمره واجتناب نَهيه وألَّا نعبد الله ﷻ إلَّا بما شرعه هذا النَّبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والنَّصيحة لأئمة المسلمين وهمْ نوعان: العلماء والأمراء،

بالنِّسبة للعلماء توقيرهم واحترامهم وأخذ العلم عنهم والرُّجوع إليهم وسؤالهم عمَّا يحتاج إليه المرء المسلم، وبالنِّسبة لولاة الأمر يكونوا بلزوم طاعتهم فِي المعروف وجمع الكلمة عليهم وعدم الخروج عليهم لا بالقول ولا بالفعل و أن يدعوا لهم لا يدعوا عليهم؛ لأنَّ ذلك من النَّصيحة لهم، وأن يتجنب ذكر ما لهم من مثالب علنًا، فإذا كان عنده نصيحة لولي الأمر فتكون سرًّا فيما بينَه وبينه ولا تكونوا علنًا كما يفعل من يخالف هذه السنَّة.

والنَّصيحة لعامَّة المسلمين يكون بأمرهم بالمعروف ونَهيهم عن المنكر وجلب الخير لهم و دفع الشَّر عنهم والتَّعاون معهم على البِر والتَّقوى، وأن يكون يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه ويكون سببًا فِي تكثير الخير وتقليل الشَّر .

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

الحديث الثَّامن: " عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أُمِرْت أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ تَعَالَى" رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:٢٥]، وَمُسْلِمٌ [رقم:٢٢].

الشَّرح:

قوله: " أُمِرْت ": الآمِرْ هو الله عَزَّوَجَلَّ والمأمور هو النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيْ: أمرني الله عَزَّوَجَلَّ ولا آمِرْ للرَّسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: "فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ": أيْ: حفظوا ومنعوا.

قولـه: " إِلَّا بِحَـقِّ الْإِسْـلَامِ ": أيْ: يجـب علـيهم بعـد عصـم أموالهم ودمائهم أن يأتوا بحقِّ الإسلام. فالحديث دليل على أنَّه يجب على ولـي الأمر أن يقاتـل النَّاس حتَّى يـدخلوا فِي الإسلام، وهذا الوجـوب متعلـق بالاسـتطاعة، وهـو مـن أدلَّـة فرضية الجهاد فِي سبيل الله، فالجهاد فِي سـبيل الله قـد يكـون فرض عين وقد يكون فرض كفاية وقد يكون غير جائز على حسب الأحـوال الَّتي تقتَرن بحـال المسـلمين قـوةً وضـعفًا، ولذلك الجهاد عبادة من العبادات وكلّ عبادة لا تصح إلَّا إذا وجدت شروطها وأسبابُها وانتفت موانعها، فالجهاد لا يصح إلَّا إذا تـوفرت شـروطه فِـي المسـلم المقاتـل وفِـي الكـافر المقاتـل. بالنِّسـبة للمسـلم المقاتـل لابـد مـن شـروط وهـي: الإخلاص لله ﷻ ووجود القدرة والقوة عند المسلمين الَّتي يغلب على الظَّن أنَّها تكسر شوكة العدو وألَّا يترتب على

الدّخول فِي القتال مفسدة أعظم من مفسدة تركه وأن تكون الرَّاية معلومة وليست راية أُمّية، ولا تكون الرَّ ايــة معلومــة إلَّا إذا كانت راية ولي الأمر، وأنَّها بإذن ولي الأمر، فالجهاد من صلاحيات ولي الأمر فهو الَّذي يعلنه وينظم الجيوش له وينادي به وهذا فِي اعتقاد أهل السنّة والجماعة. فقالوا: أنَّ من لا يرى هذا الرأي إسناد أمر الجهاد لولي الأمر فهو على رأي الخوارج؛ وبالنَّسبة للمقاتلين **أيضًا هناك شروط**:

ألَّا يكونوا معاهدين، وألَّا يكونوا من أهل الذِّمة، وألَّا يكونوا مستأمنين، وألَّا يكونوا المقاتلون أطفالًا أو شيوخًا أو نساءً إلَّا أن يشاركوا فِي القتال، و أن يكون بواجهة معلومة بين المسلمين وبين الكفار.

فالحديث يفيد وجوب الشَّهادتين: شهادة ألَّا إله إلَّا الله، وأنَّ

محمّدًا رسول الله، وإقام الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، وأنَّ من أتى بِهذا فقد حفظ دمه وماله، ومن لم يأتِ بالشَّهادتين والصَّلاة والزَّكاة فلم يعصم دمه وماله، و إنَّ حساب الخلق على الله تعالى والدَّاعي إلى الله ﷻ يبلغ هذا الدِّين فإنَّ هذا واجبه.

يؤخذ من الحديث قاعدة:

*أنَّ للدَّاعية التَّكليف بالبلاغ، عليه أن يدعو إلى الله و أنَّ النَّتائج ليست موكلة إلى الإنسان بل الَّذي يجب عليه هو البلاغ.

فهذا الحديث "حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا " يفيد أنَّ مقاتلة النَّاس حتَّى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمّدًا رسول الله، ويقيموا الصَّلاة، ويؤتوا الزَّكاة ولكنَّ القتال يكون بالشَّروط الَّتي ذكرها أهل العلم.

قوله: "**أُمِرْت أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا**": **يعني**: شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمّدًا رسول الله، وما يلزم عن هذه الشَّهادة من إقام الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة هذه لا بد من مطالبة النَّاس بِها جميعًا المؤمن والكافر، والنَّبي ﷺ أُرسل للنَّاس كافَّة، فالقتال لا يكون بعد النُّطق بالشَّهادتين وإنَّما يكون بعد ما يبين للنَّاس البيان الكافِي الَّذي يعرفون به حقيقة هذا الدِّين، فالبلاغ والإعذار يتقدم بالمقاتلة وليس المقصود أنَّه بمجرد أن ينطق بالشهادتين يجب أن يقاتل إذا لم يصلِّي؛ وإنَّما المقصود أن يبين له هذا الدِّين؛ لأنَّ ليس كلّ الكفار يقاتلون؛ ولأنَّ العلة والحكمة فِي المقاتلة ليس هي الكفر؛ وإنَّما هي دعوة النَّاس إلى هذا الدِّين "**دين الإسلام**"، فإن لم يمنعوا النَّاس من الدُّخول فِي دين الإسلام فلا يقاتلون؛ لأنَّ الجهاد ليس مشروعًا لذاته وإنَّما هو وسيلة

لتحقيق غاية وهي عبادة الله ﷻ، فإذا لم يدخلوا فِي الإسلام فإنَّهم يخيّرون بفعل الجزية، فإن فعلوا الجزية تُركوا على ما هم عليه، فإن لم يفعلوا الجزية فإنَّهم يقاتلون، والجزية على خلاف بين أهل العلم.

*** هل تؤخذ من أهل الكتاب فقط أو من جميع المشركين؟**

*من أهل العلم من يرى أنَّها تؤخذ من أهل الكتاب فقط، ومنهم من يرى أنَّها تؤخذ من جميع المشركين، فمن رأى أنَّها تؤخذ من أهل الكتاب لقوله تعالى:" **قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** "(١)، ومن رأى أنَّها تؤخذ من جميع المشركين فلقول النَّبي ﷺ فِي الحديث:" .. **وإذا**

---

(١) [التوبة:٢٩].

لَقيتَ عَدُوَّكَ مِن المُشرِكينَ فادْعُهم إلى إحدى ثلاثِ خِصالٍ، أو خِلالٍ، فأيَّها أجابوكَ إليها فاقبَلْ منهم، وكُفَّ عنهم، ادْعُهم إلى الإسلامِ، فإنْ أجابوكَ فاقبَلْ منهم، ثمَّ ادْعُهم إلى التَّحَوُّلِ مِن دارِهم إلى دارِ المُهاجِرينَ، وأعلِمْهم أنَّهم إنْ فَعَلوا فإنَّ لهم ما للمُهاجِرينَ، وعليهم ما على المُهاجِرينَ، فإنْ أبَوْا واختاروا دارَهم فأعلِمْهم أنَّهم كأعرابِ المُسلِمينَ، يَجري عليهم حُكمُ اللهِ، كما يَجري على المُؤمِنينَ، ولا يكونُ لهم مِن الفَيءِ والغَنيمةِ نَصيبٌ إلَّا أنْ يُجاهِدوا مع المُسلِمينَ، فإنْ أبَوْا فادْعُهم إلى إعطاءِ الجِزيةِ، فإنْ أجابوا فاقبَلْ منهم، وكُفَّ عنهم، فإنْ أبَوْا فاستَعِنْ باللهِ وقاتِلْهم(١)" فهذا الحديث أفادنا هذه الأمور المهمة الَّتي تكون ينظر إليها عند دعوة النَّاس، فالأمر بالمقاتلة إلى حصول الشَّهادتين والصَّلاة والزَّكاة وإطلاق الفعل على

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٣١) باختلاف يسير.

والقول، فقوله:" فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ" مع أنّ النّطق بالشَّهادتين قول، وأيضًا مع أنَّه ذكر قبله الشَّهادتان وهما قولٌ، أيضًا إثبات الحساب على الأعمال يوم القيامة، وأنَّ من أظهر الإسلام قُبل منه و وُكل باطنه إلى الله ﷻ، وأنَّ هناك تلازم بين الشَّهادتين وأنَّه لا بد منهما معًا، وأيضًا الحديث يفيد بيان شأن الصَّلاة والزَّكاة، والصَّلاة حقّ البدن والزَّكاة حقّ المال.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الثَّامن "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ".

الشَّرح:

قوله:" فَاجْتَنِبُوهُ " أيْ: ابتعدوا عنه ولا تقربوا.

قوله: "كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ " أيْ: أسئلتهم كثيرة الَّتي يسألونَ عنها.

قوله:" وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ" أيْ: عصيانَهم لهم وجدالهم فيما جاءوا به؛ لأنَّ المطلوب من المسلم هو أن يذعن لأمر الله ﷻ ولأمر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قال تعالى:" فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"(١).وقال تعالى: "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ "(١).

فالحديث يفيدنا:

*وجوب الكفّ عمَّا نَهى عنه النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووجوب الإتيان بما أمر به النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما دام العبد

---

(١) [النور-٦٣] (٢) [الأحزاب-٣٦].

مستطيعًا لذلك، وأنَّ مخالفة ما جاء به الأنبياء هو من أسباب الهلاك، وأنَّ كثرة الأسئلة المذمومة تسبب الاختلاف والهلاك، فلذا ما سكت عنه الشَّرع، ولم يبينه فيسكت عنه.

ويؤخذ من هذا الحديث: قاعدة فقهية؛ أنَّ الأصل فِي النَّهي "التَّحريم" ما لم يأتِ صارف يصرفه، **مثل**: قال تعالى:" **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا**"(١) ، فالزِّنا مُحرمة؛ لأنَّ هذا نَهي ولا يوجد دليل يجيز الزِّنا.

❊قاعدة فقهية أخرى: الأصل فِي الأمر الوجوب ما لم يأتِي صارف يصرف عنه **يعني**: يصرفه عن الوجوب **مثل**: قوله تعالى:" **وأَقِيمُوا الصَّلَاة** "(٢)، فأداؤها واجبة.

❊أيضًا أنَّ الواجبات تسقط بالعجز هذه قاعدة مأخوذة من

---

(١) [الإسراء-٣٢]. (٢)البقرة

قول النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ" مثل: القيام فِي الصَّلاة، فإذا كان الشَّخص لا يستطيع القيام فإنَّه يسقط عنها القيام ويصلِّي قاعدًا.

*و القاعدة الأخرى تقول: الميسور لا يسقط بالمعسور. فنأخذها من قول النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "ما استطعتم". مثلًا: الشَّخص الَّذي لا يستطيع القيام نقول: يسقط عنك القيام لكن السُّجود والرُّكوع لا يسقط عنك فِي هذه الحالة.

فالنَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هذا الحديث الَّذي رواه أبوهريرة يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ": أيْ: فما نَهى عنه يجتنب، وهذا عام فِي كل منهي عنه، **والمنهي عنه قسمان:**

*منهي عنه للتَّحريم، ومنهي عنه للأفضلية يعني: يكون النَّهي فيه للكراهة وما كان للتَّحريم يجب فيها الاجتناب،

وما كان للكراهة فإنَّه يستحب فيه الاجتناب.

إذن قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ :" مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ": فالَّذي نَهى عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نحن مأمورون بالانتهاء عنه، فإن كان محرمًا فالأمر بالانتهاء أمر واجب، وإن كان مكروهًا فالأمر بالانتهاء عنه أمر مستحب، فإذا تقرر هذا فالمنهي عنه خلاف الأصل؛ لأنَّ الأصل فِي الشَّريعة ليس هو النَّهي، وإنَّما الأصل فيها الأمر والمنهيات؛ بالنِّسبة للأوامر قليلة، وما نَهي عنه لأجل أنَّه خلاف الأصل لمْ يجعل الله جَلَّ وَعَلَا النُّفوس محتاجة إليه فِي حياتِها؛ بل هي مستغنية عنه، فإذا نظرت مثلًا فِي باب الأطعمة فإنَّما أُهلَّ به لغير الله ليس محتاجًا إليه الميتةُ ليس الإنسان محتاجًا إليها، الأشربة المسكرة ليس المرء محتاجًا إليها، الألبسة المحرمة ليس المرء محتاجًا إليها، وإنَّما فِي الحلال كثيرٌ غُنِيَ عن هذه

المحرمات، فتكون هذه المحرمات فِي كلِّ باب كالاستثناء من ذلك الباب، فالمحرمات بين الأشربة استثناء ممَّا أبيح، وهو الكثرة من باب الأشربة والمحرمات من الأطعمة "استثناء"، ولذلك قال العلماء: الأصل فِي العادات هو الحلّ وليس الحظر فلا يحظر منها إلَّا ما دلّ الدَّليل عليه، وكذلك فِي باب الألبسة، وكذلك فِي البيوعات والعقود، و ما أشبه ذلك، فالله ﷻ جعل فيما أحلَّ غُنِيَ عمَّا نَهى عنه عباده.

فهذا الحديث يفيدنا:

* أنَّ المسلم يجب عليه أن ينقاد لشرع الله عز وجل وأن يمتثل أمر الله ﷻ وأمر الرَّسول ﷺ وألَّا يتخطى، يعني: ما أُبيح إلى ما لم يبح؛ بل يكون وقافًا عند حدود الله ﷻ، فيجب على المسلم أن يعظم حرمات الله ﷻ، وأن

يعظم شعائر الله ﷻ، فيمتثل المأمور وينتهي عن المنهي عنه.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث العاشر" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعَالَى: "يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا"، وَقَالَ تَعَالَى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ" ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ؟ "(١)رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:١٠١٥].

الشَّرح:

قولــه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ":

"طَيِّبٌ": اسمٌ من أسماء الله تعالى "الطَّيب"، ومعناها: الطَّاهر المُنزَّه عن النَّقائص فلا يعتَريه نقص فِي حال من الأحوال، وأنَّ الله ﷻ لا يقبل من الأعمال إلَّا ما كان طيبًا، وأمَّا غير الطَّيب فهو مردود، وأنَّ من موانع استجابة الدُّعاء: أكل الحرام ولبس الحرام، فهذه من الأشياء الَّتي تكون سببًا بعدم استجابة الدُّعاء إذا دعا المسلم.

قوله: "إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ".

فهذا الحديث يفيد:

*أنَّ الله لا يقبل من الأعمال إلَّا ما كان موصوفًا بالطَّيب وهو عام فِي جميع الأعمال ومنها الكسب، فلا يعمل المرء إلَّا صالحًا ولا يكتسب إلَّا طيّبًا ولا ينفق إلَّا من الطَّيّب، فالله

أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين وقد أمر المرسلين بأنَّ يأكلوا من الطَّيبات و يجتنبوا غير الطَّيبات فكذلك أتباعهم مأمورون بذلك.

قوله:" **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ؟**": **يعني**: إذا كان بِهذه الصِّفة وكونه ينادي ربَّه " **يَا رَبِّ! يَا رَبِّ!** " بربوبيته مع الحاجة والتّكرار، ومع ذلك جاء فِي الحديث فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لذلك، كيف يستجاب لذلك؟ **يعني**: استبعاد حصول الإجابة لوجود الأسباب المانعة من قبول الدُّعاء وهي الأكل من الخبيث و اللِّبس الخبيث والمطعم الخبيث والتَّغذية من الخبيث.

فالحديث يفيدنا:

❋ أنَّ من أسماء الله تعالى الطَّيّب. ومعناه كما تقدم المُنزَّه عن النَّقائص وأنَّ من صفاته الطَّيّب؛ لأنَّ أسماء الله تعالى كلّها مشتقة وتدل على صفاته المشتقة منها.

❋ أنَّ على المسلم أن يأتِي بالطَّيب من الأعمال والمكاسب، وأنَّ الصَّدقة لا تقبل إلَّا من مال حلال، وقد ثبت عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال:" لا تُقْبَلُ صَلاةٌ بغيرِ طُهُورٍ ولا صَدَقَةٌ مِن غُلُولٍ "(١). وتفضَّل الله على عباده بالنِّعم وأمرهم بأن يأكلوا من الطَّيّبات، وأيضًا يفيد الحديث أنَّ أكل الحرام من أسباب عدم قبول الدُّعاء وأنَّ من أسباب قبول الدُّعاء "السَّفر" إذا

---

(١)التخريج : من أفراد مسلم على البخاري.

كان الشَّخص مسافر فلذلك هذا ذُكر أنَّه أشعث أغبَر من السَّفر وكون الدَّاعي أشعث أغبَر يعني: من شدة إلحاحه على الله على هذه الحالة الَّتي هو عليها، وأنَّ من أسباب قبول الدُّعاء رفع اليدين، ومن أسبابه أيضًا التَّوسل بأسماء الله ﷻ ومن أسبابه الإلحاح على الله ﷻ.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الحادي عشر "عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سِبْطِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَيْحَانَتِهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيبُكَ (١) ".

---

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم: ٢٥٢٠]، وَالنَّسَائِيّ [رقم: ٥٧١١]، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الشَّرح:

قوله" سِبْطِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ "السِّبْط": هو ابن البنت، أمَّا "ابن الابن" فيسمَّى حفيد.

قوله "رَيْحَانَتِهِ": الرَّيحانة هي الزَّهرة الطَّيّبة "طيبة الرَّائحة".

الحديث يُفِيدنا:

*أهمية البعد عن الشبه إلى الأمور الواضحات وهذا من الورع.

*أهمية بناء الحياة على الأمور الطّيّبة المتيقنة، ونأخذ أيضًا من قاعدة البناء على الواضحات لا على المشتبهات وهذا فِي بذل الخير وفِي الدَّعوة وفِي كلِّ شيء يكون الإنسان على

---

(١)ورد فِي الحديث الشَّريف: إنَّ الحسن، والحسين هما ريحانتاي من الدنيا. أخرجه البخاري، والترمذي، وأحمد.

أمرٍ واضح ومبتعد عمَّا فيه ريبة وفيه شك، فهذا الحديث فيه الأمر بتَرك ما يرتاب المرء فيه ولا تطمئن إليه نفسه ويُحدث قلقًا واضطرابًا فِي النَّفس وأن يصبِر إلى ما يرتاح إليه قلبه وتطمئن إليه نفسه، وهذا الحديث شبيه بما تقدم فِي حديث النّعمان ابن البشير " فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ " وهما يدلان على أنَّ المتقي ينبغي له ألَّا يأكل المال الَّذي فيه شبهة، كما يحرم عليه أكل الحرام.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :"ومعنى هذا الحديث يرجع إلى الوقوف عند الشّبهات واتقائها (١) ؛ فإنَّ الحلالَ المحضَ لا يحصلُ للمؤمن فِي قلبه منه ريب (٢)، بل تسكن إليه النفس، ويطمئنّ به القلب، وأمَّا المشتبهات فيحصل بها للقلوب القلق والاضطراب الموجب للشكِّ"(٣). وقال أيضًا : "وها هنا أمرٌ

ينبغي التفطُّن له، وهو أنَّ التدقيق فِي التّوقف عن الشبهات إنَّما يصلح لِمَن استقامت أحواله كلُّها، وتشابَهت أعماله فِي التَّقوى والورع، فأمَّا مَن يقع فِي انتهاك المحرَّمات الظَّاهرة، ثمّ يريد أن يتورَّع عن شيء من دقائق الشُّبَه، فإنَّه لا يحتمل له ذلك، بل يُنكر عليه، كما قال ابن عمر لِمَن سأله عن دم البعوض من أهل العراق: "يسألونِي عن دم البعوض وقد قتلوا الحسين، وسمعت النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (هما ريحانتاي من الدنيا) " (٤)

فالحديث يفيدنا:

*أنَّ على المسلم أن يترك مايكون فيه ريبة وليأخذ بما لا ريب فيه وإنَّ ترك ما يرتاب فيه راحة للنَّفس وسلامتها من القلق.

---

(١)قال الشارح أيْ: يتوقف فِي الأمر المشتبه (٢) والريب: بمعنى القلق والاضطراب (٣) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٨٠). (١) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٨٣).

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الثَّانِي عشر: "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ ".

الشَّرح:

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ " أيْ: من تمام إيمانه وكماله.

قوله:" تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ": ترك ما لا يهمه.

ما يدل عليه هذا الحديث أنَّه ينبغي على الإنسان الانشغال بما يعنيه وترك ما لا يعنيه، فالانشغال بما لا يعني الإنسان

---

(١) حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم: ٢٣١٨] ، ابن ماجه [رقم:٣٩٧٦].

علامة على أنَّ العبد لم يمتثل كما ينبغي والنَّاس يتفاوتون، فلذلك معرفتهم لحقيقة هذا الدِّين والتزامهم به هم يتفاوتون فيه.

فيفيدنا الحديث:

* أنَّ إدراك الفضائل يكون بتَرك ما لا يعني من المشاغل.

*أنَّ الصِّلة مع الله ﷻ تكون بقدر انشغال قلب الإنسان بخالقه وارتباطه به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

*أنَّ المسلم يترك ما لا يهمه من أمر الدِّين والدُّنيا فِي الأقوال والأفعال ومفهومه أنَّه يجتهد فِي الأمر الَّذي يعنيه، ولذلك قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى فِي العلوم والحكم "ومعنى هذا الحديث أنّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ من قول وفعل وأن يقتصر على ما يعنيه من الأقوال

والأفعال". ومعنى يعنيه: أنَّه تتعلق عنايته به، ويكون من مقصده ومطلوبه، والعناية: شدة الإهتمام بالشَّيء، يقال: (عَانه يُعنيه) إذا اهتم به وطلبه ليس المراد أن يترك ما لا عناية له ولا إرادة بحكم الهوى وطلب النَّفس؛ بل بحكم الشَّرع والإسلام، ولهذا جعله من حسن الإسلام، فإذا حَسُنَ إسْلَامِ الْمَرْءِ تَرَك مَا لَا يَعْنِيهِ فِي الإسلام من الأقوال والأفعال فإنَّ الاسلام يقتضي فعل الواجبات كما سبق ذكره فِي شرح حديث جبريل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وإنَّ الإسلام الكامل الممدوح يدخل فيه ترك المحرمات كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "المُسْلِمُ مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ"(١)، فإذا حَسُن الإسلام اقتضى ترك ما لا يعني كله من المحرمات

---

(١) أخرجه البخاري (١٠)، ومسلم (٤٠) مختصراً

والمشتبهات والمكروهات وفضول الكلام كلّ ذلك يقتضيه الاهتمام بما يعنيه وترك ما لا يعنيه، فالحديث يفيد أيضًا ترك الإنسان ما لا يعنيه فِي أمور الدِّين والدّنيا واشتغال الإنسان بما يعنيه من أمور دينه ودنياه، وأنَّ من ترك ما لا يعنيه اطمأنت نفسه وارتاحت نفسه وحفظ وقته وسلم له عرضه، و أنَّ النَّاس يتفاوتون فِي الإسلام وليسوا على درجة واحدة.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الثَّالث عشر" عَنْ أَبِي حَمْزَةَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خَادِمِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ".

---

(١)رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:١٣]، وَمُسْلِمٌ [رقم:٤٥].

الشَّرح:

يُبيِّنُ النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فِي هذا الحديثِ الجليلِ -الذي قِيلَ فيه: إنَّه رُبُعُ الإسلامِ، ومِن أحاديثَ أربعةٍ تَتفرَّعَ عنها جِماعُ آدابِ الخيرِ.

قال ابن أبي زيد القيروانِي :"وجماع آداب الخير وأزمته تتفرع عن أربعة أحاديث:

١-قول النبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت"

٢-وقوله عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ"من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه."

٣-وقوله عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ للذي اختصر له في الوصية "لا تغضب

٤-وقوله عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ"المؤمن يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه."الرسالة لابن أبي زيد القيرواني ص: ١٥٤.

فيبيّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه لا يَتحقَّقُ الإيمانُ الكامِل لأحدٍ مِن المُسلِمينَ -والنفيُ هنا لا يُقصَدُ به نفْيُ أصلِ الإيمانِ، وإنَّما نفْيُ الكَمالِ- حتَّى يُحِبَّ لأخيهِ ما يُحِبُّ لنفْسِه مِن الطَّاعاتِ وأنواعِ الخَيراتِ فِي الدِّينِ والدُّنيا، ويَكرَهَ له ما يَكرَهُ لنفْسِه، فإنْ رَأى فِي أخيه المسلِمِ نَقْصًا فِي دِينِه، اجتهَدَ فِي إصلاحِه، وإنْ رأَى فيه خيرًا سدَّدَه وأعانَه على الثباتِ عليه والزِّيادةِ منه؛ فلا يكونُ المؤمنُ مُؤمنًا حقًّا حتَّى يَرضَى للنَّاسِ ما يَرضاهُ لنفْسِه، وهذا إنَّما يَأتِي مِن كَمالِ سَلامةِ الصَّدرِ مِن الغِلِّ والغِشِّ والحسَدِ؛ فإنَّ الحسَدَ يَقتضي أنْ يَكرَهَ الحاسدُ أن يَفُوقَه أحدٌ فِي خَيرٍ، أو يُساويَه فيه؛ لأنَّه يُحِبُّ أنْ يَمتازَ على النَّاسِ بفَضائلِه، ويَنفرِدَ بِها عنْهم، والإيمانُ يَقْتضي خِلافَ ذلك، وهو أنْ يَشرَكَه المؤمنون كلُّهم فيما أعطاهُ اللهُ مِن الخَيرِ.

فهذا الحديث له أهمية عظيمة؛ لأنه من جوامع كَلِمِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعدودٌ من أصول الأدب، كما ينصُّ على

الضابط لمعاملة الآخرين، ويفيد عمومًا أن ما يحبه الإنسان لنفسه من قول أو فعل، فعليه أن يُحِبَّه للآخرين، وما يكرهه لنفسه من قول أو فعل، فعليه أن يكرهه للآخرين، وأن يعامل الناس كما يُحِبُّ أن يعاملوه.

يفيدنا الحديث:

1-الفهم الصحيح لمعنى (لا يؤمن أحدكم)؛ قال العلماء: **ليس المراد ذهاب الإيمان كليةً، وإنما المراد نفي كمال الإيمان؛** أي: لا يؤمن إيمانًا تامًّا بحيث يبلغ حقيقة الإيمان ونهايته، وهذا النّفي معروف فِي كلام العرب، فتقول العرب: "فلان ليس بإنسان"، فالمقصود نفي صفة من صفاته، وهنا نفي صفة من صفات الإيمان فيه؛ وهي: عدم حبِّه للناس مثل ما يحب لنفسه، فأصبح ناقصًا لافتقاده صفة: أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وهذا يدلُّكم على أن الإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي.

2-يجب نشر المحبة بين أفراد المجتمع، وتركُ الحقد والحسد، والكراهية والأنانية: لا يمكن لحقود أو حاسد، أو مُحِبٍّ لذاته أن يُحِبَّ لأخيه ما يحب لنفسه؛ لأن تلك الأمراض تُورِث الكراهية والبغضاء بين الناس؛ ولذلك يرتقي في مدارج الإيمان من يحب الخير للناس، ويبذل ما فِي وسعه وطاقته لنفعهم، ويُحزنه آلام إخوانه، فيمرض لمرضِهم، ويحزن لحزنهم، ويفرح لفرحهم.

وهذ لا يقتصر على إخوانه فِي الإيمان، بل حتى غير المسلمين، فيحب للكافرِ دخولَه فِي الإسلام، كما يحب لأخيه الثباتَ على الدين، وقد كان النبي ﷺ يدعو بالهداية للمشركين، فقد حاصر أهلَ الطائف فجاءه أصحابه فقالوا: يا رسولَ الله، أحرقتنا نِبالُ ثقيفٍ، فادْعُ الله عليهم فقال: ((**اللهم اهدِ ثقيفًا**))، كما أن المؤمن يدعو بالهداية للعُصاة، ويحب لهم التوبة؛ كما فرِح الصحابة رضوان الله عليهم بنزول توبة الثلاثة الذين تخلَّفوا عن غزوة تبوك؛ قال

تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]. قال كعب بن مالك وهو أحد الثلاثة الذين نزلت توبتهم: "وآذَنَ - أي أعلَم - رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناسَ بتوبة الله علينا حين صلَّى الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب نحو صاحبيَّ مبشِّرون، وركض رجل إليَّ فرسًا، وسعى ساعٍ من أسْلَمَ، حتى أوفى على الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمِعت صوته يبشرني، نزعت ثوبي، فكسوتهما إياه بشارةً، والله ما أملك يومئذٍ غيرهما، واستعرت ثوبين فلبِستُهما، ثم انطلقتُ أتيمَّمُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتلقَّاني الناس يبشرونني بالتوبة، يقولون: لِيَهْنِكَ توبةُ الله عليك، حتى دخلت المسجد، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسٌ حوله الناس، فقام إليَّ طلحة بن عبيد الله، فحيَّانِي وهنَّأَنِي، ووالله ما قام إليَّ رجل من المهاجرين غيره، قال: فكان كعب بن مالك لا ينساها لطلحةَ، قال كعب: فلما سلَّمت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لي

ووجهه يبرُق من السرور: ((أبْشِرْ بخيرِ يومٍ مرَّ عليك منذ ولدتك أمك))، وهكذا فرِح الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفرِح الصحابة بنزول توبتهم؛ لأنّهم يُحِبُّون لإخوانِهم مثل ما يحبون لأنفسهم.

3-التشبُّهُ بالسلف الصالح في هذه الخَصلة العظيمة، وقد سبق معنا فرح الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة بنزول توبة الثلاثة الذين تخلَّفوا عن غزوة تبوك؛ ومن نماذج الاقتداء كذلك:

4-حبُّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لصحابته ما يحب لنفسه: عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((يا أبا ذرٍّ، إني أراك ضعيفًا، وإنّي أحب لك ما أحب لنفسي، لا تَأَمَّرَنَّ على اثنين، ولا تَوَلَّيَنَّ مالَ يتيم)) ؛ قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: "وإنّما نَهاه عن ذلك؛ لِما رأى من ضعفه، وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب هذا لكل ضعيف، وإنما كان يتولى أمور الناس؛ لأن الله قوَّاه على ذلك، وأمره بدعاء الخلق كلهم إلى طاعته، وأن يتولى سياسة دينهم ودنياهم".

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ما ناظرتُ أحدًا قطُّ فأحببتُ أن يُخطئ"، ويقول: "وددت أن الناس تعلَّموا هذه الكتب ولم ينسبوها إليَّ"، فانظروا - رحمكم الله - إلى تواضع هذا الإمام، وحبِّه لخصمه إصابةَ الحق كما يحب لنفسه، فأين علماؤنا وطلبة العلم من هذا الخُلُقِ؟ حتى أصبح الانتصار للنفس والمذهب هو ديدن أكثرهم، إلا من رحم ربك، وقليلٌ ما هم.

وكان محمد بن واسع يبيع حمارًا له، فقال له رجل: أترضاه لي؟ قال: لو رضيتُه لم أبِعْهُ، وهذه إشارة منه إلى أنه لا يرضى لأخيه إلا ما يرضى لنفسه، وهذا كله من جملة النصيحة لعامة المسلمين، فأين هذا ممن يبيع سلعةً ثم يسكت عن عيوبِها، فهل تحب أن يعاملك الناس بالمثل؟

فاللهم أوْرِثْنا خُلُقَ أسلافنا فِي التواضع والمحبة، آمين.

ونأخذ من الحديث قاعدة: أنّ من مقتضيات هذا الحديث ،

أن يبغض المسلم لأخيه ما يبغضه لنفسه، وهذا يقوده إلى ترك جملة من الصفات الذميمة، كالحسد والحقد، والبغض للآخرين، والأنانية والجشع، وغيرها من الصفات الذميمة، التي يكره أن يعامله النّاس بِها.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

"صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :"لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ [يشهد أَلَّا إله إِلَّا الله، وأَنِّي رسول الله] إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ"رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:٦٨٧٨]، وَمُسْلِمٌ [رقم:١٦٧٦].

الشَّرح:

قوله "لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ" أيْ: لا يحل قتله. قوله :"إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ :" أيْ: بواحدة من الثَّلاثة الموجودة فِي

الحديث.

قوله :"**الثَّيِّبُ الزَّانِي**": هو المتزوج بنكاحٍ صحيح، **الزَّانِي: أيْ**: المتزوج إذا زانا، ومثله المرأة كذلك إذا فعل ذلك كان مستحقًا للقتل، إذا الإنسان متزوج من امرأة و الرَّجل زنا؛ فإنَّ حده القتل، وسيأتِي إنَّ القتل هذا المقصود به الرَّجم.

قوله :"**وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ**" **أيْ**: القصص، إذا قتل نفسًا فإنَّه يقتل بِها.

قوله :"**التَّارِكُ لِدِينِهِ**"، المقصود به المُرتدّ.

فلَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إلَّا إذا فعل واحدًا من هذه الثَّلاثة، فالحديث دليل على احتِرام دماء المسلمين وفيه أيضًا دلالة على إباحة الدَّم على أحد الثلاثة الَّذين ذكروا فِي الحديث، فإذا قتل متعمدًا النَّفس فإنَّه يقتل بِها، وإذا كان متزوجًا و زنا

فإنَّه يرجم، وإذا ارتدَّ عن دينه فإنَّه يكون من مباح الدَّم.

والحديث يفيد:

*الحثّ على التزام جماعة المسلمين ونبذ الفرقة والاختلاف.

* بيان لنوع من أنواع الحدود وهو القتل لثلاثة أصناف من أهل الحدود: القتل المتعمد، النّفس بالنّفس، والزّانِي إذا كان متزوج فإنَّه يقتل بالرَّجم، والمُرتدّ يقتل.

فِي هذا الحديث قاعدة فقهية: وهي الأصل فِي دم المسلم "الحُرْمة" كَمَالِه تمامًا، هذا هو الأصل ولا يخرج عن هذا الأصل إلّا بما يوجب ذلك فيما جاء فِي الشَّرع.

فالحديث يفيد: كما قرأنا فيه الثِّيب الزَّانِي، كما ذكرنا الثِّيب هو المُحصن وحكمه الرَّجم كما ثبتت به السنَّة عن رسول

الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكما دلَّت عليه آية الرَّجم الَّتي نسخت تلاوتُها وبقي حكمها والنَّفس بالنَّفس أيْ: القتل قصاصًا، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ كما ذكرنا المراد به: المرتد عن الإسلام، لقول النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"من بَدَّل دِينَه فاقتلوه". رواه البخاري. وقد ذكر الحافظ "ابن رجب" قتل جماعة غير من ذُكِر فِي هذا الحديث وهم: القتل فِي اللِّواط، ومن أتى ذات محرم، والسَّاحر، ومن وقع على بَهيمة، ومن ترك الصَّلاة، وشارب الخمر فِي المرَّة الرَّابعة، والسَّارق فِي المرة الخَامسة، وقتل هؤلاء إذا توفرت فيهم الشُّروط الموجبة للقتل فإنَّهم يقتلون، لأدلّة دلَّت على ذلك، يعني هذه إضافة على هذه الثَّلاثة ذكروا هذه الأشياء، تارك لدينه على اعتبار أنَّ من ترك الصَّلاة فقد كفر، وشارب الخمر فِي المرة الرَّابعة لكن الصَّحيح أن هذا منسوخ يعني: القتل، والسَّارق فِي

المرة الخَامسة أيضًا هذا منسوخ أنَّه لا يقتل، يفيدنا الحديث أيضًا عصمة دم المسلم إلَّا إذا أتى بواحدة من هذه الثلاثة، و أنَّ حكم الزَّانِي المحصن القتل رجمًا بالحجارة، وكذلك قاتل النَّفس عمدًا فإنَّه يقتل، وأنَّ المرتد عن دين الإسلام سواء كان ذكرًا أو أنثى فإنَّه يقتل.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الخامس عشر "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ." رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:٦٠١٨]، وَمُسْلِمٌ [رقم:٤٧].

الشَّرح:

جمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هذا الحديث ذكر الإيمان بالله ﷻ والإيمان باليوم الآخر فِي هذه الأمور الثَّلاثة، لأنَّ الإيمان بالله هو الأساس فِي كلِّ شيء يجب الإيمان به، فإنَّ أي شيء الإيمان به تابع للإيمان بالله، وأمَّا الإيمان باليوم الآخر ففيه التَّذكير بالمعاد والجزاء على الأعمال إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرّا.

قوله: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ"، هذه الكلمة كلمة جامعة من جوامع كلمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومقتضاها وجوب حفظ اللِّسان من الكلام إلَّا فِي خير، قال النَّووي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي شرح هذا الحديث قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "معنى الحديث إذا أراد أن يتكلَّم فليُفكِّر، فإن ظهر أنَّه لا ضرر عليه تكلَّم، وإن ظهر أنَّ فيه ضرراً

وشكَّ فيه أمسك" وقال الإمام أبو محمد عبدالله بن أبي زيد القيروانِي إمام المالكية بالمغرب فِي زمنه (ت٣٨٦) جماع آداب الخير يتفرع من أربعة أحاديث: قول النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ)، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للَّذي اختصر له الوصية: (لا تغضب)، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)(١) هذه الأربع يعني عليها مدار آداب الخير و تتفرع من هذه الأحاديث الأربع ونقل النووي عن بعضهم أنَّه قال: "لو كنتم تشترون الكاغد للحفظة لسكتم عن كثير من الكلام."(٢).

---

(١) [ينظر: شرح النووي على مسلم (٢/ ٣٧٩)]. (2) (الكاغد): فارسي محض بمعنى القرطاس. انظر: كتاب الألفاظ الفارسية المعربة لادي شير ص ١٣٦.

الخير اسم يقابله الشر، ويأتِي أيضًا الخير بمعنى افعل، افعل: اسم تفضيل، حذفت منه الهمزة.

قوله: "وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ" حقّ الجار من الحقوق المؤكدة على جاره، وقد جاءت أحاديث كثيرة فِي التَّرغيب فِي إكرام الجار والتَّرهيب من إيذائه وإلحاق الضرر به؛ ومنها حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "ما زال جبريلُ يوصيني بالجارِ حتَّى ظننتُ أنه سيورِّثُه"، وحديث "واللهِ لا يؤمِنُ واللهِ لا يؤمِنُ واللهِ لا يؤمِنُ قالوا وما ذاكَ يا رسولَ اللهِ قال جارٌ لا يؤمنُ جارُهُ بوائقَهُ قالوا يا رسولَ اللهِ وما بوائقُهُ قال: شرُّهُ"(٢)، و إكرامه يكون بأن يصل إليه بره وأن تحصل له السلامة من شره، والجيران ثلاثة: جار مسلم ذو قربى له ثلاثة حقوق:

---

(١)قال الشارح:بوائقَهُ أي: غوائله. (2)أخرجه البخاري معلقـًا بصيغة الجزم بعد حديث (٦٠١٦) باختلاف يسير، وأخرجه موصولاً مسلم (٤٦) مختصراً بنحوه.

حق الجوار، وحق القرابة، وحق الاسلام، وجار مسلم ليس بذي قربى له حق الإسلام وله حق الجوار، وجار ليس بمسلم ولا بقربى له حق الجوار فقط، و أولى الجيران بالإحسان من يكونوا أقربَهم بابًا لمشاهدته ما يدخل فِي بيت جاره، فيتطلع إلى الإحسان إليه.

قوله: "وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ" إكرام الضَّيف من الَّتي للمسلمين على المسلمين وهو من مكارم الأخلاق، وفِي الصَّحيح من حديث أبي شريح قال: سَمِعَتْ أُذُنَايَ، وأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ، حِينَ تَكَلَّمَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالَ: مَن كانَ يُؤْمِنُ باللهِ والْيَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جائِزَتَهُ، قالوا: وما جائِزَتُهُ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: يَوْمُهُ ولَيْلَتُهُ، والضِّيافَةُ ثَلاثَةُ أيَّامٍ، فَما كانَ وراءَ ذلكَ فَهو صَدَقَةٌ عليه(1).

فالحديث يفيدنا:

*التَّرغيب فِي الكلام فِي ما هو خير.

*التَّرغيب فِي الصَّمت إذا لم يكن التَّكلم بخير.

*التَّذكير عند التَّرغيب والتَّرهيب باليوم الآخر؛ لأنَّ فيه الحساب على الأعمال والتَّرغيب فِي إكرام الجار والتَّحذير من إيذائه، والحث على إكرام الضَّيف والإحسان إليه، كل ذلك يفيده هذا الحديث العظيم.

ونأخذ قاعدة فِي الحديث فِي اللِّسان أنّ " **الصَّمت خير من الكلام إلَّا فِي الخير**"، والحثّ على حفظ اللِّسان إلَّا أن يكون يتكلم فِي خير، والسَّكوت حتَّى عن المباح خير من التكلم به.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨).

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث السادس عشر " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَوصِنِيْ، قَال : (لاَ تَغْضَبْ) ". رواه البخاري".

الشَّرح:

هذا الصّحابي الجليل الّذي سأل النّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قيل: بأنه أبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأرضاه وقيل غيره، ولكن المعروف عن الصّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حرصهم الشديد على سؤال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ما ينفعهم فِي دينهم والعمل بذلك .

قال "لا تغضب" أي: لا تتعرض لأسباب الغضب، وأيضًا إذا تعرضت لأسباب الغضب فأمسك نفسك .

يفيدنا الحديث الجليل:

❊حرص الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على طلب ما ينفعهم فِي أمور دينهم.

❊حسن تعليم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جوابه للسائل حيث خاطب السائل بما يناسب حاله؛ لأنّ وصايا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت متعددة ومختلفة من شخص إلى آخر قال أهل العلم: اختلاف إجابات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبعًا لاختلاف السائلين، فيجيب كل واحد بما يرى أنّه يناسب حاله، ولذلك جاءت أحاديث كثيرة كل واحد يقول يا رسول الله دلّني على أفضل الأعمال، فيجيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجواب وهذا بجواب، وكل هذا يقول أهل العلم فيه أنّ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يراعي أحوال السائلين، وهكذا يجب على المربي والأب مع أبنائه والمعلم مع طلابه فإنه يرشد كل واحد بما يناسبه.

النهي "عن الغضب" ؛ لأنّ عواقبه وخيمة فقد يفرق بين الزوجين، ويفرق بين الأب وابنه، وأهم علاج له هو ما أرشد إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممّا يدل على ترويض النفس دائمًا عند الغضب بمعنى استشعار عاقبة الغضب، واستشعار أنّ كظم الغيظ من أشياء الفضيلة الّتي ينبغي مراعاتها، فترويض النفس على محاسن الأخلاق من أعظم العلاجات ومن محاسن الأخلاق الّتي من الممكن أن تضاد بِها الغضب، فهناك أخلاق حميدة تقابل الغضب: الصبر الحلم التثبت فِي الأمر التأنِّي فكل هذه من محاسن الاخلاق التي تجعل الإنسان يروض نفسه على تحمل الغضب.

العلاج الثانِي: تذكر عاقبة الغضب، وفضل كظم الغيظ، فالله عَزَّ وَجَلَّ امتدح كاظمين الغيظ وقال عنهم: " **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ** "(آل عمران-١٣٤).

*أيضًا ممّا يعالج به الغضب؛ الإستعاذة من الشيطان قال الله تعالى: "وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" (الأعراف-٢٠٠)، وغضب عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجل؛ حتّى احمّر وجهه أي: "وجه ذلك الرجل" فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنّي لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

*تغيير الحالة إن كان قائمًا؛ فليجلس، وإن كان جالسًا؛ فليضطجع؛ فإنّ هذا قد جاء فِي الأثر، ويستفاد منه أن الإنسان إذا كان غاضبًا بإمكانه أن يخرج من المنزل على سبيل المثال، وهذا من تغيير الحالة؛ لأنّه لو خرج من المنزل ذهب من موطن الغضب وسكنت نفسه.

*البعد عن أسباب الغضب، فينظر ما الّذي سبّب هذا

الغضب؟! فيبتعد عن الأسباب المؤدية إلى ذلك، وفيه قاعدة مستنبطة من الحديث؛ قاعدة الكلام والإرشاد والوصية كلما كان الكلام والوصية جامعة فهي مانعة، فلذلك النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرشد بكلمة واحدة **"لا تغضب"** فبعض الناس يوصي بوصية طويلة فيكون الكلام كثيرًا يعتريه النقص، لكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أوتي جوامع الكلم.

فالمقصود هو أن يجتنب المسلم أسباب الغضب، ولا يتعرض لها لما تجلبه من آثار وخيمة، وأما نفس الغضب فلا يتأتى النهي عنه؛ لأنه أمر طبيعي لا يزول من الجبلة؛ بل هناك غضب محمود إذا غضب الإنسان من أجل ما رأى مثلًا: من انتهاك حرمات الله عَزَّ وَجَلَّ، فإنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **"ما ضرب أحدًا قط لا امرأة ولا خادمًا إلا أن أُنتهك حرمات الله، أو يكونوا فِي جهادٍ فِي سبيل الله "**.

فالأمر طبيعي؛ الغضب من حيث أصله لكن الإنسان يتجنب الأشياء التي تخرجه عن حد الاعتدال .

قال ابن التين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: "جمع صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قوله: **"لا تغضب"** خير الدنيا والآخرة؛ لأنَّ الغضب يؤول إلى التقاطع، ومنع الرفق، وربما آل إلى أن يؤذي المغضوب عليه فينتقص ذلك من الدين، ومدَح الله عَزَّ وَجَلَّ الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، وأخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه **"ليس الشديد بالصرعة الذي يصرع الناس؛ إنّما الشّديد الّذي يملك نفسه عند الغضب"**، وعلى المرء إذا غضب أن يكظم غيظه وأن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، وأن يجلس أو يضطجع كما جاء فِي الحديث الآخر **"إن غضب أحدكم وهو قائم؛ فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب؛ وإلا فليضطجع"** وهو حديث صحيح.

فيفيدنا الحديث كما ذكرنا؛ حرص الصحابة على الخير لطلب هذا الصحابي الوصية من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد تكرر ذلك من الصحابة سؤالهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الخير ليعملوه، والتحذير من أسباب الغضب، والآثار المترتبة عليه تكرار الوصية بالنّهي عن الغضب دالٌّ على أهمية تلك الوصية.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

الحديث السابع عشر: "عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ. فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيْحَتَهُ) رواه مسلم".

الشَّرح:

قوله"فَإِذَا قَتَلْتُمْ"؛ "وَإِذَا ذَبَحْتُمْ"؛ الفرق بين القتل والذِّبح أنّ الذّبح دائمًا يكون فِي مأكول اللحم فِي غير ذلك، وهذا فِي الغالب وليست قاعدة مضطردة؛ إنّما هذا فِي الغالب، ولذلك نوّع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذلك .

قوله "وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ" الشفرة يعني: السكين أي: ليحكها حتى تكون قوية بالمبرد أو بالحجر كما يفعل بعض الجزارين فِي اليوم.

فالحديث يفيد رأفة الله تعالى بعباده حيث كتب الإحسان فِي كل شيء، والحث على الإحسان فِي كل شيء؛ لأنَّ الله تعالى شرع ذلك، والرفق بالمقتول والمذبوح من حيوان وغيره، وذلك بإحسان القتل، وكذلك الذبح وحدّ الآلة والنهي عن التمثيل والتعذيب فِي المذبوح أو المقتول فهنا الإحسان واجب.

قد تؤخذ من الحديث قاعدة فِي الحياة أن كل شيء فِي هذه الحياة فيه جانب من جوانب الإحسان كتبه الله تعالى فيه، فاستغل أنت هذا الجانب وتلمسه فِي توجيهك وفِي دعوتك وفِي معاملتك مع الناس .

فالحديث يقول: "**فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيْحَتَه**". أي: أن الله كتب الإحسان على كل شيء، فالإحسان ضد الإساءة، وكتب بمعنى شرع وأوجب، فالكتابة دينية شرعية والإحسان فيها يكون عامًا للإنسان والحيوان، ثمّ أمر الرسول ﷺ بإحسان القِتلى والذِّبح وإحداد الشفرة وإراحة الذبيحة وهذا مثال من أمثلة إيقاع الإحسان عند قتل الإنسان المستحق للقتل وذبح الحيوان، وذلك بسلوك أسهل الطرق التي يكون بِها إزهاق النفس من غير تعذيب.

وهذا الحديث يدل على وجوب الإحسان فِي كل شيء من الأعمال، لكن إحسان كل شيء بحسبه؛ فالإحسان بالإتيان بالواجبات الظاهرة والباطن؛ الإتيان بِها على وجه كمال واجباتِها؛ فهذا القدر من الإحسان فيها واجب، وأمّا الإحسان فيها بإكمال مستحباتِها فليس بواجب، والإحسان فِي ترك المحرمات الإنتهاء عنها، وترك ظاهرها وباطنها؛ فهذا القدر من الإحسان فيها واجب، وأما الإحسان فِي الصبر على المقدورات فأن يأتِي الصبر عليها على وجهه من غير تسخط ولا جزع .

والإحسان الواجب فِي معاملة الخلق، ومعاشرتهم ؛القيام فِي ولاية الخلق وسياستهم القيام بواجبات الولاية كلها، والقدر الزائد على الواجب فِي ذلك كله احسان ليس بواجب، والإحسان فِي قتل ما يجوز قتله من الناس والدواب ازهاق نفسه على أسرع الوجوه وأسهلها وأسرعها

من غير زيادة فِي التعذيب؛ فإنّه إيلام لا حاجة إليه، وهذا النوع هو الذي ذكره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هذا الحديث ولعله ذكره على الغالب على سبيل المثال، أو لحاجته إلى بيانه فِي تلك الحال فقال: فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ.." والقِتلة والذِّبحة بالكسر أي: الهيئة، والمعنى أحسنوا هيئة الذبح، وهيئة القتل، وهذا يدل على الإسراع فِي إزهاق النفوس التي يباح إزهاقها على أسهل الوجوه.

فالإحسان فِي القتل مطلوب بدون تعذيب أو تمثيل، وسواء كان فِي قتال الكفار أو القتل قصاصًا أو حدًّا إلا أنه عند القتل قصاصًا يفعل بالقاتل كما يفعل بالمقتول، كما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قتل اليهودي الّذي رد الجارية فِي المدينة بين حجرين، وكذلك فِي حد الزانّي وهو الرجم فهو إما مستثنى من عموم هذا الحديث، أو محمول على أنّ

المراد هو المماثلة فِي القصاص بالنسبة والحد بالنسبة المقتول وأمّا ما جاء فِي حد الزّانِي المحصن وهو الرجم فهو إمّا مستثنى من عموم هذا الحديث أو محمول على أن الإحسان يكون فِي موافقة الشرع ورجم المحصن منه.

فالحديث يفيدنا:

❊وجوب الإحسان فِي كل شيء وجوب.

❊الإحسان عند القتل بسلوك أيسر سبيل لإزهاق النفوس.

❊وجوب الإحسان عند ذبح الحيوان.

❊تفقد آلة الذِّبح قبل مباشرة لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ".

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

الحديث الثامن عشر: "عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدُبِ بنِ جُنَادَةَ وَأَبِي عَبْدِ

الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) رواه الترمذي وقال: حديث حسن. وفِي بعض النسخ: حسنٌ صحيح.

الشَّرح:

هذا الحديث اشتمل بجملهِ الثلاث على ما هو مطلوب من المسلم لزومه لربّه أولًا، ثمّ لنفسه ثانيًا، ثمّ لغيره ثالثًا.

قوله فِي الحديث "اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ" : أصل التقوى فِي اللغة؛ أن يجعل بينه وبين الذي يخافه وقاية تقيه منه مثل: اتخاذ النِّعال والخفاف؛ للوقاية، وممّا يكون فِي الأرض من ضرر، وكاتخاذ البيوت، والخيام؛ لاتقاء حرارة الشمس ونحو ذلك، والتقوى فِي الشرع أن يجعل الإنسان بينه وبين غضب الله ﷻ وقاية تقيه منه، وذلك بفعل المأمورات وترك

المنهيات، وتصديق الأخبار وعبادة الله وفقًا للشرع لا بالبدع والمحدثات، وتقوى الله مطلوبة فِي جميع الأحوال والأماكن والأزمنة فيتقي الله فِي السر والعلن، وفِي حال ظهوره أو استتاره عن الناس. كما جاء حديث" اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ".

قوله "وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا": عندما يفعل المرء سيئة فإنّه يتوب منها، فأوّل حسنة بعد السيئة هو التّوبة منها، فالتّوبة حسنة وهي تَجُبُّ ما قبلها من الكبائر والصغائر ويكون أيضًا بفعل الحسنات؛ فإنّها تمحو الصغائر؛ أما الكبائر فلا يمحوها إلّا التوبة.

قوله "وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**" فإنّه مطلوب من الإنسان أن يعامل النّاس جميعًا معاملة حسنة، فيعاملهم بمثل ما يحب أن يعاملوه لقوله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"**لا يُؤْمِنُ أحدُكُم حتى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لنفسِهِ**"**(1)**، وقال** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **" فمَن**

أحَب أن يُزحزَح عن النار ويدخل الجنة، فلتأتِه منيَّتُه وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه" (2)

فقد وصف الله ﷻ نبيه الكريم بأنّه على خلق عظيم، وجاء

---

[١]أخرجه مسلم (٤٥) باختلاف يسير. [٢] رواه مسلم فِي كتاب الإمارة.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لمّا سئلت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: "كان خلقه القرآن" أي: أنه يقوم بتطبيق ما فيه، وجاء فِي السنة أحاديث كثيرة تدل على فضل حسن الخلق وتحث على التخلق بالأخلاق الحسنة وتحذر من الأخلاق السيئة.

فهذا الحديث اشتمل على أصول المعاملة كلها. معاملة العبد لرّبه ومعاملة الإنسان لنفسه ومعاملة الإنسان لغيره من النّاس، فمعاملة العبد بينه وبين ربّه بتقوى الله، ومعاملة الإنسان لنفسه بالتوبة من الذنوب، ولزوم فعل الأوامر، وترك النواهي، ومعاملته مع الخَلق بحسن الخُلق .

نستفيد من هذا الحديث:

*كمال نصح النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأمته، ومن ذلك اشتمل عليه هذا الحديث من هذه الوصايا الثلاثة العظيمة الجامعة الّتي تعتبر أصول المعاملة.

*الأمر بتقوى الله فِي جميع الأحوال.

*الحث على اتباع السيئات بالحسنات.

*أنّ الحسنات تمحو السيئات .

*الحث على مخالقة الناس بالخلق الحسن.

ونأخذ من الحديث قاعدة من الحسنات والسيئات؛ وهي كل حسنة إمّا ترفع درجة أو تذهب سيئة، وقاعدة فِي التّعامل، وهي عامل النّاس بما تحب أن يعاملوك به.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث التّاسع عشر: " عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوماً فَقَالَ: (يَا غُلاَمُ إِنّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللهَ يَحفَظك، احْفَظِ اللهَ تَجِدهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنتَ فَاسْتَعِن بِاللهِ، وَاعْلَم أَنَّ الأُمّة لو اجْتَمَعَت عَلَى أن يَنفَعُوكَ بِشيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشيءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ لَك، وإِن اِجْتَمَعوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشيءٍ لَمْ يَضروك إلا بشيءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفعَت الأَقْلامُ، وَجَفّتِ الصُّحُفُ) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح – وفِي رواية – غير الترمذي: (اِحفظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إلى اللهِ فِي الرَّخاءِ يَعرِفْكَ فِي الشّدةِ، وَاعْلَم أن مَا أَخطأَكَ لَمْ يَكُن لِيُصيبكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُن لِيُخطِئكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَربِ، وَأَنَّ مَعَ العُسرِ يُسراً).

الشَّرح:

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحديث "يَا غُلاَمُ" : الغلام هو الصبي

من حين فطامه إلى أن يكون عمره تسع سنين وقيل غير ذلك .

قوله "احْفَظِ اللهَ" : بأن تلتزم تقواه بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ لأنَّ تلتزم تقواه ﷻ تطيع وتقف عند حدوده وتجتنب نواهيه.

قوله "يَحفَظك" يعني: يحفظك جَلَّ وَعَلَا فِي نفسك بصونك عمّا يضرك.

قوله "احْفَظِ اللهَ تَجِدهُ تُجَاهَكَ" أي: أمامك. يعني: تجد الله أمامك النّصر والتأييد.

قوله "وَإِذَا اسْتَعَنتَ فَاسْتَعِن بِاللهِ" : الاستعانة هي طلب الإعانة فإذا استعنت يا عبد الله؛ فاستعن بالله الذي خلقك ورزقك ووجدك من العدم.

قوله "رُفعَت الأَقْلامُ" أي: تركت الكتابة، فلا تقدير يكتب.

قوله "وَجَفّتِ الصُّحُفُ": المراد بِها الصحف الّتي يكتب بِها المقادير. أي: أنّها بعد رفع الأقلام جفت الصواب أن كل شيء فيها لا يعدل.

فنستفيد من الحديث:

*ملاطفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للغلمان، ونصحهم، وتوجيههم، وذكر ما يكون عونًا لهم على طاعة الله ﷻ ،وإن من حفظ حدود الله والتزمها نال الخير كله، وأعظمها معية الله تعالى، وطلب الإعانة أكملها يكون من الله ﷻ، فهو الّذي لا يغلب بشيء قد كتبه، والنّفع والضّر يكون إلا بشيء قد كتبه الله تعالى.

*الإيمان بالقضاء والقدر كما قال فِي الحديث " وَاعْلَم أن مَا

أَخطأَكَ لَمْ يَكُن لِيُصيبكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُن لِيُخطِئكَ" تسلية عند المصائب، ومن علامات المؤمن المتعلق بربه أنّه شديد الصلة بالله فِي الرخاء، ومن نتائج ذلك سيجد النصرة من الله ﷻ فِي حال الشّدة، ولذلك جاء فِي الحديث أنّ النّصر مع الصّبر وأنّ الفرج مع الكرب، وأنّ العسر مع اليسر.

ونأخذ من الحديث فِي الحياة بقدر حفظ العبد لحدود الله تعالى ينال حفظ الله ومعيته ينال حفظ الله ومعيته، وأيضًا قاعدة فِي طلب السّعة أنّ النّصر مع الصّبر، والفرج مع الكرب، واليسر مع العسر، فهذا من فضل الله ﷻ ورحمته.

قوله "احفظ الله يحفظك" أي: احفظ حدود الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وتصديق الأخبار وعبادته وفقًا لما شرع لا بالأهواء والبدع، فيحفظك الله فِي أمور دينك ودنياك

جزاء وفاقًا أي: أنّ الجزاء من جنس العمل، فالعمل حفظ، والجزاء حفظ.

قوله "احْفَظِ اللهَ تَجِدهُ تُجَاهَكَ" يعني: أمامك كما فِي الرواية الأخرى "اِحفظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ" والمعنى تجده يحوطك ويرعاك فِي أمور دينك ودنياك.

قوله " إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنتَ فَاسْتَعِن بِاللهِ ": فإن سؤال الله دعاء، والدعاء هو العبادة، والمعنى أن المسلم يعبد الله وحده ويسأله قضاء حاجاته، ويستعين به فِي جميع أموره الدنيوية والأخروية بالأسباب المشروعة ويسأل الله أن ينفع بالأسباب كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز"، والحديث فِي صحيح مسلم.

قوله "وَاعْلَم أَنَّ الأُمَّة لو اجْتَمَعَت عَلَى أن يَنفَعُوكَ بِشيءٍ لَمْ

يَنْفَعُوكَ إِلا بِشيءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ لَك، وإِن اِجْتَمَعوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشيءٍ لَمْ يَضروك إلا بشيءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفعَت الأَقْلامُ، وَجَفّتِ الصُّحُفُ" : بعد أن ذكر أنّ السّؤال لله وحده والاستعانة بالله وحده أخبر أن كل شيء بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنّه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، وأن كل شيء لا يخرج عن إرادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومشيئته، وأن العباد لا يمكنهم أن ينفعوه بشيء لم يقدره الله تعالى ولا أن يضروه بشيء لم يقدره الله تعالى، وأن كل شيء يقع أو لا يقع سبق به القضاء والقدر، ولهذا قال "رُفعَت الأَقْلامُ، وَجَفّتِ الصُّحُفُ" أي: أن كل كائن قد فرغ منه وكتب، ولابد من وقوعه، والمراد برفع أقلام وجفاف الصحف الإنتهاء من كل شيء مقدر بكتابته فِي اللوح المحفوظ فلا بد أن يقع وفقًا لما قُدّر، وهذه الجمل فيها إثبات الإيمان بالقدر وهو أحد أصول

الإيمان الستة المبينة فِي حديث جبريل المشهور أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره.

قوله "**تَعَرَّفْ إلى اللهِ فِي الرَّخاءِ يَعرِفْكَ فِي الشّدةِ**"، المعنى أن من أخلص عمله لله فِي حال رخائه وسعته يجد الخير من الله ودفع الضر عنه فِي حال شدته وكربته، وكما فِي قصة الثلاثة الذين أواهم المبيت إلى الغار فانحدرت الصخرة وسدت باب الغار وتوسّلوا إلى الله ﷻ بأعمال لهم صالحة عملوها فِي حال رخائهم، فتوسل أحدهم ببره لوالديه، وتوسل الثانِي بحفظه للأمانة وتنميته، وردها لصاحبها، وتوسل الثالث بتركه الفاحشة من أجل الله بعد قدرته عليها، فكشف الله ما بِهم من كرب، وأزال ما حل بِهم من ضرر، فتزحزحت الصخرة حتى تمكنوا من الخروج .

فيفيدنا الحديث:

*أنّ من حفظ الله بحفظ حدود الله تعالى حفظه الله فِي دينه ودنياه، وأن من أطاع الله ﷻ واتقاه حفظه الله، وأن من أضاع حدود الله لا يحصل له الحفظ من الله.

* أن الجزاء من جنس العمل فالعمل حفظ والجزاء حفظ.

* أن العبد يخص ربّه بالعبادة والاستعانة فيخلص لله ﷻ.

*الايمان بالقدر.

*أن العبادة لا ينفعون ولا يضرون إلا النفع والضرر؛ لأن النفع والضرر مقدرين من الله ﷻ إلّا إذا كان النفع والضرر مقدرين من الله ﷻ، وأنه لا يحصل لأحد إلا إذا كان مقدرًا ولا يندفع عنه ضرر إلا إذا كان مقدرًا ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

* أنّ الصّبر يعقبه النّصر، وأنّ الكرب يعقبه الفرج، وأن العسر يعقبه اليسر.

ونأخذ من الحديث تواضع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وملاطفته الصغار، وكذلك التقديم بين يدي ذكر الأمر المهم بما يحفز النفوس إليه لقوله "أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ" تحفيز من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

الحديث العشرون "عَنْ أَبِيْ مَسْعُوْدٍ عُقبَة بنِ عَمْرٍو الأَنْصَارِيِّ البَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّ مِمَّا أَدرَكَ النَاسُ مِن كَلاَمِ النُّبُوَّةِ الأُولَى إِذا لَم تَستَحْيِ فاصْنَعْ مَا شِئتَ) رواه البخاري".

الشَّرح:

الحديث يدل على أن الحياء ممدوح، وكما هو فِي هذه الشريعة فهو فِي الشرائع السابقة، وأنّه من الأخلاق الكريمة الّتي توارثتها النبوات حتى انتهت إلى هذه الأمة، والأمر فيه للإباحة والطلب إذا لم يكن المستحي منه ممنوعًا شرعًا، وإن كان ممنوعًا فهو للتهديد، أو أن مثل ذلك لا إلا ممّن ذهب حياؤه أو قل، ولذلك قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى فِي جامع العلوم والحكم.فقوله صلى الله عليه وسلم :" إنّ مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى؛ يشير إلى أن هذا مأثور على الأنبياء المتقدمين، وأن الناس تداولوه بينهم وتوارثوه عنهم قرنًا بعد قرن، وهذا يدل على أنّ النّبوة المتقدمة جاءت بِهذا الكلام، وأنه اشتهر بين الناس حتى وصل إلى أول هذه الأمّة إلى أن قال وقوله "إذا لم تستح فاصنع ما شئت" فِي معناه قولان :

أحدهما: أنّه ليس بمعنى الأمر أن يصنع ما شاء، ولكنّه على

معنى الذم والنهي عنه، وأهل هذه المقالة لهم طريقان:

أحدهما: أنه أمر بمعنى التهديد والوعيد، والمعنى إذا لم يكن لك حياء فاعمل ما شئت، فإن الله يجازيك عليه .

الطريق الثانِي: أنّه أمر ومعناه الخبر، والمعنى إن من لم يستح صنع ما شاء، فإن المانع من فعل القبائح هو الحياء، فمن لم يكن له حياء كان فيه فحش ومنكر، وما تمتع أحد بمثل ما تمتع بالحياء، ولذلك هذا الحديث "**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**" على حد قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ" فإن لفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر، وأن من كذب عليه تبوأ مقعده من النار، وهذا اختيار طائفة من أهل العلم .

القول الثانِي: فِي معنى قوله إذا أسمع ما شئت أنه أمر بفعل ما

يشاء على ظاهر لفظه والمعنى إذا كان الذي تريد فعله مما لا يستحي من فعله لا من الله ولا من الناس لكونه من الطاعات أو من جميل الأخلاق والآداب المستحسنة فاصنع منه حينئذ ما شئت، وهذا أيضًا قول جماعة من الأئمة، وحكي مثله عن الإمام أحمد وقال: واعلم أن الحياء نوعان:

أحدهما: ما كان خلقًا وجبلة غير مكتسب، وهو من أجل الأخلاق التي يمنحها الله العبد ويجبله عليها، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحياء لا يأتي إلا بخير؛ فإنه يكف عن ارتكاب الفواحش، ودناءة الأخلاق ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها فهو من خصال الإيمان بِهذا الاعتبار، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر فِي هذا الحديث فقوله "مما أدرك الناس" يعني: من أنبيائهم جيلًا بعد جيل حتى وصل لهذه الأمة أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولذلك قال من كلام النبوة

الأولى أي: ممّا عليه الأنبياء "إذا لم تستح" فالحياة كما ذكرنا هو خلق يحث على فعل الجميل وترك القبيح.

فالحديث أفادنا :

❊شرف الحياء؛ لأنّه ما من نبي إلا وحث عليه.

❊وفضل الحياء وعظم منزلته؛ لأن الحياء خير كله كما أخبر بذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

❊وأنّ الحياة كما تقدم نوعان: نوع فطري، وحياء مكتسب؛ وهو ترويض النفس عندما يتعرف على الله ويعظمه فيستحي منه، أما الحياء الذي يمنع من الخير؛ فإنه يسمى خجلًا، وليس الحياء المراد فِي الشرع، فرحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فِي الدين، ومن لم يتصف بالحياة فإنه يفعل ما يشاء سواء خيرًا أو شرًّا وهذا بمعنى التهديد إذا

لم تستح فافعل ما شئت فسوف تجد جزاءك.

وفِي الحديث قاعدة تجمع الخير والشر كل خير أصله الحياء وبناء عليه كل شر من أسبابه ذهاب الحياء. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى : "من عقوبات المعاصي ذهاب الحياء الذي هو أصل كل خير وذهابه ذهاب الخير أجمعه".

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الحادي والعشرون "عَنِ أَبِيْ عَمْرٍو، وَقِيْلَ،أَبِيْ عَمْرَةَ سُفْيَانَ بنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُوْلَ اللهِ قُلْ لِيْ فِي الإِسْلامِ قَوْلاً لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدَاً غَيْرَكَ؟ قَالَ: (قُلْ آمَنْتُ باللهِ ثُمَّ استَقِمْ)".

الشَّرح:

أصحاب النبّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم أشد الناس حرصًا على معرفة الدين، وهم أسبق الناس إلى كل خير، وهذا السؤال من سفيان ابن عبد الله واضح فِي ذلك، إذ سأل النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا السؤال العظيم الّذي يريد جوابه جامعًا واضحًا لا يحتاج فيه إلى أحد بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأجاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الصّحابي بجواب قليل اللّفظ واسع المعنى وهو من جوامع كلمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقال: "قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ استَقِمْ" فأمره أن ينطق بلسانه بإيمانه بالله الشامل للإيمان به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وبما جاء عنه فِي كتابه وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيدخل فِي ذلك الأمور الباطنة والأمور الظاهرة؛ لأن الإيمان والإسلام من الألفاظ التي إذا جمع بينها فِي الذكر قسم المعنى بينهما، وصار للإيمان الأمور الباطنة، وللإسلام الأمور الظاهرة، وإذا أفرد أحدهما عن الآخر كما هنا شمل الأمور الباطنة والظاهرة، وبعد إيمانه

ويقينه وثباته أمر بالاستقامة على هذا الحق والهدى والاستمرار على ذلك، فيكون بعد الإيمان بالله ﷻ الاستقامة على طاعة الله ﷻ ، وأن يداوم على ذلك، وأن يستمر على ذلك حتى يوافيه الأجل، ولذلك نجد الصحابة يحرصون على الاستقامة، ويحذرون من مخالفتها ويفسرونُها بأنّها تعني لزوم طاعة الله ﷻ والثبات على ذلك يقول عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : "الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب"، ويقول عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : "الاستقامة إخلاص العمل لله ﷻ " ،ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى "أعظم الكرامة لزوم الاستقامة".

فالحديث يفيدنا :

*حرص الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على السؤال عن أمور دينهم والعمل بذلك.

رواه ابن المبارك / الزهد ص ١١٠، أحمد / الزهد ص ١٤٤، ومداره على الزهري ثقة من الرابعة روايته عن عمر منقطعة، وبقية رجاله عند أحمد ثقات، فالأثر ضعيف. مدارج السالكين - ابن القيم (٢/ ١٠٦).

*حسن السؤال من سفيان بن عبد الله الدّال على كمال عقله ورغبته فِي الوصية الجامعة.

*الإيمان بالله ﷻ وبما جاء فِي كتابه وسنة رسوله ﷺ وملازمة الاستقامة على الحق والهدى حتى بلوغ الأجل، فيستمر المؤمن على ذلك حتى يأتيه الأجل .

ويؤخذ من الحديث قاعدة فِي الإصلاح؛ وهي الاستقامة تشمل النيات والأقوام والأقوال والأعمال، ومن المهم جدًّا أن الاستقامة يجب أن تكون وفق أمر الله وأمر رسوله كما قال تعالى: "فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ" (١١٢_هود)، يعني: كما أمرك الله وأمرك رسوله ﷺ " وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا

فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ..." [الأنعام:١٥٣]، فالاستقامة الحقّة هي أن تكون على وفق أمر الله وأمر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإخلاص لله وتجريد المتابعة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولزوم الاستقامة الى الممات

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الثانِي و العشرون: "عَنْ أَبِيْ عَبْدِ اللهِ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً (1) سَأَلَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (أَرَأَيتَ إِذا صَلَّيْتُ المَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضانَ، وَأَحلَلتُ الحَلالَ، وَحَرَّمْتُ الحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلى ذَلِكَ شَيئًا أَدخُل الجَنَّة ؟ قَالَ: نَعَمْ) رواه مسلم".

الشَّرح:

قوله "أَرَأَيتَ إِذا صَلَّيْتُ المَكْتُوبَاتِ" يقصد المفروضات. قوله

"وَأَحلَلتُ الحَلاَلَ" أي: أعتقدت حل ما أحل الله يعني: ما

---

(1)جاء فِي رواية أخرى أنّ اسمه "النعمان ابن قوقل"

أحلّه الشرع.

قوله " وَحَرَّمْتُ الحَرَامَ ": اعتقدت حرمة الشرع، أو ما حرمه الله فِي كتابه أو رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سنته .

هذا الحديث دليل على أن الصحابة رضوان الله عليهم أحرص الناس على معرف الحق، والهدى والعمل به، وأنّهم يسألون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمّا يحتاجون إليه، ويعملون بما يسمعونه من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد تقدم معنا فِي الأحاديث الماضية كيف أنّهم يسألون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن العمل الّذي يقربهم إلى الجنة، ويباعدهم عن النار، فالصّحابة هم خير الناس بعد الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولذلك

يقول الله ﷻ "وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ"(١٥-لقمان). يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى "وكل من الصحابة منيب إلى الله فيجب اتباع سبيلهم، وأكبر سبيلهم اعتقاد رضوان الله عليهم أجمعين.

فالحديث يفيدنا :

*على أن من أتى بالواجبات وانتهى عن المحرمات كان ذلك كافيًا لدخول الجنة، فإذا فعل الواجب وترك المحرم حتى لو لم يفعل المستحب ولو فعل المكروهات، لكن المسلم حتى فِي أدائه للفرائض أو فِي تركه للمحرمات قد لا يأتِي بِها على وجهها، فهو بحاجة إلى أن يأتِي بالنوافل؛ لأنَّ النوافل تكمل نقص الفرائض؛ ولأنّه ما من فريضة إلّا جعل الله من جنسها نافلة؛ فالصلاة منها مفروض ونفل، والصوم مفروض ونفل، والزكاة مفروض ونفل، والحج مفروض

ونفل، وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله من جنسها الذِّكر؛ التسبيح التهليل التحميد التكبير قراءة القرآن فما من فريضة إلّا وقد جعل الله من جنسها نافلة تجبر النقص الذي يحصل من العبد ويرفع الله بِها الدرجات.

*أيضًا الحرام هو ما حرّمه الله فِي كتابه وعلى لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و هو ما أوجبه الله ﷻ فِي كتابه أو على لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصّحابة كما ذكرت من أحرص النّاس على السؤال عمّا يقربَهم إلى الجنة، وعن طريق الجنة، وعمل العمل الّذي يرضي الله ويدخلهم.

ونأخذ من الحديث قاعدة فِي المنع والإباحة وهي أنّ التحريم والتحليل تشريع لا يكون إلا لله تعالى، ولهذا قال تعالى: "أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ

اللهُ"(الشورى-٢١)، فلذلك ذكر العلماء أنّ الأصل فِي العبادات أنّها توقيفية، فلا يشرع منها إلّا ما دلّ الدّليل على مشروعيته، فمن زاد على المشروع وقع فِي البدع، ولذلك قال الله تعالى "أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللهُ" : هذا دليل على أن التشريع خالص حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولذلك البدعة تُعرّف بأمرين:

* إذا وجدت مخالفة لما جاء فِي كتاب الله أو مخالفة لما كان عليه النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، فالأوّل: دليله "أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ الله".والثانِي: قول النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "فعليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ، وإيَّاكم ومُحدَثاتِ الأُمورِ؛ فإنَّ كُلَّ بِدعةٍ ضَلالةٌ"(1)

أخرجه مطولاً أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٤)، وأحمد (١٧١٤٤) باختلاف يسير، وابن عبدالبر في ((جامع بيان العلم وفضله)) (٢٣٠٥) واللفظ له.

فقول الصّحابي هنا "أرأيت" معناه أخبرني؛ فالمقصود أخبرني إذا فعلت هذه الأمور أدخل الجنة أي: الأمور الّتي سأل عن دخول الجنة إذا فعلها؛ فهذه الأمور الّتي جاءت فِي كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

*من الواجبات والفرائض الباطنة والظاهرة، وكذلك المنهيات من الأمور الظاهرة والباطنة؛ فإن الإنسان إذا فعل الواجبات، وترك المحرمات، فإنّه يصبح من أهل الجنة إذا استقام على ذلك.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الثالث العشرون: "عنْ أَبِي مَالِكٍ الحَارِثِ بنِ عَاصِمٍ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (الطُّهُورُ

شَطْرُ الإِيْمَانِ، والحَمْدُ للهِ تَمْلأُ الميزانَ، وسُبْحَانَ اللهِ والحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ - أَو تَمْلأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، وَالصَّلاةُ نُورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَو عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَو مُوبِقُهَا) رواه مسلم".

الشَّرح:

قوله فِي الحديث "الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيْمَانِ" : الطّهور فُسِّر بالمعنى المعنوي، ففُسّر بترك الشرك، والذنوب، والمعاصي، والتّخلي عنها، وفُسّر بمعنى حسي وهو بالوضوء إلى الصّلاة، وفُسِّر الإيمان أيضًا بالصّلاة، ويرجح تفسير الطّهور بالوضوء رواية التّرمذي للحديث، وفيه بدل الطّهور "الوضوء"، ورواية ابن ماجة بلفظ إسباغ الوضوء، والشّطر؛ فُسّر بالنِّصف، وفُسّر بالجزء، وإن لم يكن نصفًا وشرط الصّلاة هو الوضوء كما جاء فِي الحديث "لا تقبل

صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول" رواه مسلم، والطُّهور بالضّم اسم للفعل وهو التّطهر، وبالفتح اسم للماء الّذي يتطهر به، ومثل ذلك لفظ الوضوء والسّحور والأجور والصعود .

قوله "والحَمْدُ للهِ تَمْلأُ الميزانَ والحَمْدُ للهِ تَمْلأُ الميزانَ، وسُبْحَانَ اللهِ والحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ - أَو تَمْلأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ ": الميزان هو ميزان الأعمال، وهو يدلّ على فضل التّحميد والتّسبيح؛ والتّسبيح هو تنزيه الله عن كلّ نقص، والتحميد وصفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بكل كمال.

قوله تملآن أو تملأ يحتمل أن يكون تملأ ما بين السماوات والأرض للتسبيح والتحميد معًا، أو لأحدهما، ويحتمل أن ما بين السماء والأرض لهما معًا، والخبر جاء على الشك من

الراوي هل هو بالتثنية معا أو بدونِها.

قوله "**الصلاة نور**": يشمل النور فِي القلب والنور فِي الوجه ونور الهداية، والنور يوم القيامة لعظيم منزلة الصلاة.

قوله "**والصدقة برهان**" **أي** : دليل على إيمان صاحبها وصدقه، وذلك أن النفوس تشح بالمال، فمن وقي شح نفسه وتصدق كان ذلك علامة على إيمانه؛ ولأنّ المنافق قد يصلي رياء، ولا تسمح نفسه بإخراج الصدقة لبخله وحرصه على المال.

قوله "**والصبر ضياء**" **أي** : الصّبر على الطاعات، والصبر عن المعاصي، والصبر على الطاعة حتى لو شقت على النفوس، والصبر على المعاصي ولو مالت إليها النفوس ورغبت فيها واشتهتها، والصبر على أقدار الله المؤلمة؛ إمّا أن يكون صبر

على الطاعة، وإمّا أن يكون على المعصية، وإما يكون صبر على أقدار الله ﷻ الّتي تجري، فلا يجزع ولا يتسخط، وحصول ذلك من المسلم يدل على قوة إيمانه ونور بصيرته، ولهذا وصف الصبر بالضياء.

قوله "والقرآن حجة لك أو عليك" أي : أن القرآن إما حجة للإنسان إذا قام به؛ قام بما يجب عليه وما هو مطلوب منه فِي القرآن من تصديق الأخبار وامتثال الأوامر واجتناب النواهي وتلاوته حق تلاوته، وتدبر معانيه؛ وإمّا يكون حجة عليه أي : على الإنسان إذا أعرض عنه ولم يقم بما هو مطلوب منه ومثل هذا الحديث قوله ﷺ فِي الحديث الذي رواه مسلم "أن الله يرفع بِهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين" ثمّ قال فِي الحديث "كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَو مُوبِقُهَا" : معناه أنّ الناس يغدون ويسعون فينقسمون إلى

قسمي؛ قسم يبيع نفسه على الله ﷻ بفعل الطاعات واجتناب المعاصي؛ فيعتقها بذلك من النار ويبعدها عن اضلال الشيطان وإغوائه؛ وقسم يوبقها أي : يوبق نفسه بإرتكاب الذنوب والمعاصي؛ وذلك بوقوعه فِي الشهوات المحرمة التي توصله إلى النار، ولذلك جاء فِي القرآن "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ" (البقرة-٢٠٧) "

هذا الحديث العظيم الجامع يفيدنا:

*بيان فضل الطهور سواء بمعنى المعنوي، أو بالمعنى الحسي.

* فضل التحميد والتسبيح.

* الميزان، ووزن الأعمال.

* فضل الصلاة؛ وأنّها نور فِي الدنيا والآخرة.

❊ فضل الصدقة؛ وأنّها علامة على إيمان صاحبها.

❊ فضل الصبر؛ وأنّه ضياء للصّابرين.

❊ الحث على العناية بالقرآن تعلمًا وتدبرًا وعملًا ليكون حجة الإنسان لا حجة عليه.

❊الحث على كل عمل صالح يعت صاحبه من أولياء الشيطان، ويفضي بصاحبه إلى النار، فيحذر كل عمل يؤدي به إلى ما لا تحمد عقباه.

هذا الحديث الجليل أفادنا هذه الأشياء الّتي ذكرنا جملة منها، ونأخذ قاعدة فِي أثر الطاعة؛ إدراك أثر الطاعة يكون أثر كلّ علة مانعة من ذلك. مثلًا: الصّلاة نور؛ يقول: أنا لا أحس بأثر هذه الطاعة أو النور الناتج عنها، فنقول: هناك موانع حجبت عنك هذه الآثار فاحجبها حتى تنال تلك الآثار يعني:

أثر الطاعة وإدراك أثر الطاعة يظهر على العبد فِي تصرفاته، فإذا لم يظهر هذا الأثر عليه؛ فليراجع نفسه، ويقوّمها على طاعة الله ﷻ، فالإنسان خلق ليكون عبدًا، فإما أن يختار العبودية لله التي هي أشرف العبودية وإلّا فإنّه سيبقى عبدًا للمال أو للهوى أو الشيطان، والحرية فِي هذه الحياة؛ إنما تكون بطاعة الله تعالى؛ لأنّ بِها تحصل النّجاة كل الناس يغدوا فبايعوا نفسه فمعتقها أو موبقها أي : أن من عمل بطاعة الله اعتق نفسه، فالحرية ليست بإطلاق الهوى كما يطلقه دعاة الحرية والانحلال، وإنّما يقال لهم: الحرية ما كانت تحت العبودية. يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى : "هربوا من الرق الّذي خلقوا له" يعني: عبادة الله ﷻ "هَربوا من الرّقّ الذي خُلقوا له فبُلُوا برِقّ النفسِ والشيطانِ" سبحان الله! الإنسان إما يرضى بعبودية الله لأشرف العبودية وأشرف

المقامات للتعبد لله، أو ليعلم أنه سيكون عبدًا للهوى والشيطان.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الرابع والعشرون: " عَنْ أَبي ذرٍّ الغِفَارْي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيمَا يَرْويه عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ: (يَا عِبَادِيْ إِنِّيْ حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِيْ وَجَعَلْتُهُ بَيْنكُمْ مُحَرَّمًا فَلا تَظَالَمُوْا، يَا عِبَادِيْ كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُوْنِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِيْ كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِيْ كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُوْنِيْ أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِيْ إِنَّكُمْ تُخْطِئُوْنَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوْبَ جَمِيْعًا فَاسْتَغْفِرُوْنِيْ أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِيْ إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوْا ضَرِّيْ فَتَضُرُّوْنِيْ وَلَنْ تَبْلُغُوْا نَفْعِيْ فَتَنْفَعُوْنِيْ، يَا عِبَادِيْ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوْا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِيْ مُلْكِيْ شَيْئًا. يَا عِبَادِيْ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوْا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِيْ شَيْئًا، يَا عِبَادِيْ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ

وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوْا فِيْ صَعِيْدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُوْنِيْ فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِيْ إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ، يَا عِبَادِيْ إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيْهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيْكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُوْمَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ) رواه مسلم.

الشَّرح:

هذا الحديث من الأحاديث القدسية؛ لأنّه قال فيما يروي عن ربه، وهذه العبارة من العبارات التي يُعبَّر بِها عن الحديث القدسي، ومثلها عبارة: "قال الله ﷻ فيما يرويه عنه رسوله ﷺ، والحديث القدسي هو ما يسنده رسول الله ﷺ إلى ربِّه تعالى ويضيفه إليه، ويشتمل على ضمائر التكلُّم الّتي تعود إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويسمي قدسيًّا؛ لأنّه جاء من القدّوس الّذي هو الله ﷻ أي : أنّه حديث مطهر

عال عن كلام الخلق، وهذا فِي معناه العام، فالحديث القدّسي من حيث اللفظ هو من الله يرويه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلفظه .

قوله: "يا عبادي! إنِّي حرَّمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلته بينكم مُحرَّمًا، فلا تظالَموا"، الظلم وضعُ الشيء فِي غير موضعه، وقد حرَّمه الله على نفسه ومنَعها منه، مع قدرته عليه وعلى كلِّ شيء، فلا يقع منه الظلم أبداً؛ لكمال عدله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ}، وقال: {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}، وقال: {إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا}، وقال: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[سورة النساء: ٤٠]. قال تعالى ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[يونس: ٤٤] أي : لا يخاف الإنسان نقصاً من

حسناته، ولا زيادة فِي سيّئاته، أو تحميل سيِّئات غيره، ونفيُ الظلم عن الله ﷻ فِي هذه الآيات متضمِّنٌ إثبات كمال عدله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال ابن رجب فِي جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٦) : "وكونُه خَلَقَ أفعالَ العباد وفيها الظلم لا يقتضي وصفه بالظلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما أنَّه لا يُوصف بسائر القبائح التي يفعلها العباد، وهي خَلْقُهُ وتقدِيرُه، فإنَّه لا يُوصَف إلاَّ بأفعاله، لا يوصف بأفعال عباده، فإنَّ أفعالَ عباده لا توصف بشيء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودين الاسلام. العباد كلهم مفتقرون لأنواع الرزق والفضل من الله ﷻ. فِي الطعام والرزق والكسوة وجميع مصالح الدنيا والآخرة محتاجون مفتقرون إلى الله، والله هو الغني الحميد. أيضًا حاجة العباد فإنَّه لا يُوصَف إلاَّ بأفعاله، لا يوصف بأفعال عباده، فإنَّ أفعالَ عباده مخلوقاته ومفعولاته، وهو لا يوصف بشيء منها، إنَّما يوصف بما قام به مِن صفاته وأفعاله، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

قولـه حـديث "حرّمـت الظّلـم علـى نفسـي" أي : لا يقـع منـي الظلم تعاليت وتقدست مع قدرتِي على الظلم.

قوله "فَاسْتَهْدُوْنِي" يعني: اطلبوا الهداية مني.

قوله "فَاسْتَكْسُوْنِيْ" أي : اطلبوا الكساء منّي.

قولـه "فَاسْـتَغْفِرُوْنِيْ" أي : اطلبـوا منـي؛ المغفـرة فـالألف والسين والتاء فِي الغالب كلها تأتِي بمعنى الطلب.

قوله "صعيد واحد" يعني: فِي مكـان واحـد، أو اجتمعـوا فِي واحد أوّلهـم وأخـرهم وجنّهم وإنسـهم فِي أرض واحـدة مـا نقص من ملك الله ﷻ شيئا إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر؛ والمخيط هو الإبرة

وقوله" يَا عِبَادِيْ كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ " أي : مفتقـر للبـاس. فالله ﷻ حـرّم الظلـم علـى نفسـه، وجعلـه محرمًـا بـين النـاس

لكمال عدله؛ والظلم بالنسبة للمخلوق على نوعين: ظلم العبد لنفسه بفعل الشرك، وسائر المعاصي، وظلم لغيره بأن يتعدى على حقوق الاخرين بأموالهم أو أعراضهم أو أنفسهم؛ والعباد كلهم مفتقرون إلى الله ﷻ بالهداية ويتفاوتون فِي الافتقار لذلك لقوله فلذلك الله ﷻ أمرنا ونحن نقرأ سورة الفاتحة " اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ "، وأعظم أنواع الهداية هو الهداية لطلب العلم؛ لأنّه به تجمع للإنسان كل أنواع الخير قال تعالى: "فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ" [محمد:١٩] ، فأعظم الهداية "**هداية للعلم النافع**" الذي يعرف به العبد ربه ونبيه ﷺ ، ودين الإسلام.

*العباد كلهم مفتقرون لأنواع الرزق والفضل من الله ﷻ فِي

الطعام، والرزق، والكسوة، وجميع مصالح الدّنيا والآخرة، فهم محتاجون مفتقرون إلى الله، والله هو الغني الحميد.

*حاجة العباد للرجوع إلى التوبة، وطلب المغفرة من الله جل وعلا، فهو عظيم المغفرة؛ فالاستغفار من الله على وجهين: طلب المغفرة باللفظ؛ بأن يقول الإنسان؛ رب اغفر لي، رب ارحمني .

*طلب المغفرة بالمكفرات أي : مكفرات الذنوب مثل: قول النبي ﷺ "من قال: سبحان الله وبحمده مئة مرة غفرت له خطاياه".

*الحديث يدل على غنى الله ﷻ وسعة غناه فلا تزيده طاعة المخلوق شيئا ولا تنقص منه معصية العاصين شيء لا ينفعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ طاعة الطائعين ولا يضره معصية العاصين. *الله

تعالى يحفظ أعمال العباد كلها ويحصيها لهم ثم يجازيهم بِها فلا تظلم نفس شيئا يوم القيامة، فالحديث خُتم بقوله: يَا عِبَادِيْ إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيْهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيْكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرَاً فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُوْمَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ.

ونأخذ من الحديث قاعدة فِي الجزاء والحساب وهي؛ أنَّ الجزاء من جنس العمل، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا، وذلك مأخوذ من قوله فِي الحديث "يَا عِبَادِيْ إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيْهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيْكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرَاً فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُوْمَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ" : فهذا الحديث العظيم من الأحاديث القدسية التي يرويها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربّه والّتي ذكر فيه تحريم الظلم على الله عَزَّ وَجَلَّ حرم الظلم مع نفسه وتنزيهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن النقائص مع إثبات كمال ضدها وهي وهو العدل وتحريم الله للظلم على العباد

لأنفسهم وشدة حاجة العباد إلى الله سبحانه وتعالى إلى أن يطلبوا الهداية منه وأن يطلبوا الطعام والكسوة وكل ما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم وأن الله يحث عباده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على أن يسألوا ما يحتاجون إليه فِي أمور الدنيا والدين

*كمال ملك الله تعالى، وأن العباد لا يبلغون نفعه فينفع ولا ضره فيضروه بل يعود نفعهم ويضرهم إلى أنفسهم. فالعباد لا يسلمون من الخطأ ولذا عليهم التوبة من ذلك والاستغفار.

*أنّ التقوى والفجور يكونان فِي القلب لقوله: "على أتقى قلب رجل، وعلى أفجر قلب رجل"، فدليل على أن التقوى تكون فِي القلب وكذلك الفجور يكون فِي القلب؛ لأن القلب هو ملك الأعضاء.

* إن ملك الله لا تزيده طاعة الطائعين ولا تنقص معصية العاصين، وأنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الغني الكريم.

فيفيدنا الحديث: كمال غنى الله، وكمال ملكه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنه لو أعطى عباده أولهم وأخرهم وجنّهم وإنسهم كل ما سألوه لم ينقص من ملكه ﷻ وخزائنه شيئًا، ولذا حث العباد على الطاعة، وحذرهم من المعصية، وأن كل ذلك محصي عليهم، وأن من وفقه الله للعلم النافع، والعمل الصالح؛ وفقه لطريق الخير ظفر بسعادة الدنيا والآخرة والفضل لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للتوفيق لسبيل الهدى ولحصول الثواب على ذلك، وأن من فرّط وأساء العمل ظفر بالخسران والندم حيث لا ينفع الندم.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الخامس والعشرون: " عَنْ أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَنَّ أُنَاسًا مِنْ أَصحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا للنَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا رَسُولَ الله: ذَهَبَ أَهلُ الدثورِ بِالأُجورِ، يُصَلُّوْنَ كَمَا نُصَلِّيْ، وَيَصُوْمُوْنَ كَمَا نَصُوْمُ، وَيَتَصَدَّقُوْنَ بِفُضُوْلِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: (أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُوْنَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيْحَةٍ صَدَقَة. وَكُلِّ تَكْبِيْرَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَحْمَيْدَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَهْلِيْلَةٍ صَدَقَةٌ وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوْفٍ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ وَفِيْ بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ قَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللهِ أَيَأْتِيْ أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُوْنُ لَهُ فِيْهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فَيْ حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فَي الحَلالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ".

الشَّرح:

قوله "ذَهَبَ أَهلُ الدثورِ بالأجور" يعني: أهل الغنى؛ ذهبوا بالأجر عند الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأنّ لهم أموالًا يتصدقون بِها، والصدقة أجرها عظيم.

قوله "ذَهَبَ أَهلُ الدثورِ بِالأُجورِ، يُصَلُّوْنَ كَمَا نُصَلِّيْ، وَيَصُوْمُوْنَ كَمَا نَصُوْمُ، وَيَتَصَدَّقُوْنَ بِفُضُوْلِ أَمْوَالِهِمْ" يعني: أنّ الله ﷻ ميّزهم بأنّهم يتصدقون ويصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم، لكن تميزوا عنا بالصدقة، فذهب أهل الدثور بأجور الصدقة، فالنّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيّن لهم أنّ معنى الصدقة واسع.

قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ " أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُوْنَ " : وهذا فيه الحثّ على سماع ما جعل الله ﷻ للفقراء؛ بل ولعامّة المسلمين الأغنياء والفقراء جميعًا من أنواع الصدقات الّتي لا تدخل فِي الصدقات المالية، وهذا مبني على ما فِي الشريعة، فإنّ الصّدقة فِي الشّريعة ليست هي الصدقة بالمال فحسب، والصدقة بالمال نوع من أنواع الصدقة؛ فتعريف الصدقة؛ إيصال الخير، والنّفع للغير، ولذلك يُوصف الله ﷻ بأنّه متصدق على عباده كما ثبت فِي

صحيح مسلم أنّ النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمّا سألوه عن مسألة القصر فِي السفر فقال: هذه صدقة تصدق الله بِها عليكم، فهذه صدقة من الله فاقبلوا صدقته، فالله عَزَّ وَجَلَّ يتصدق على عباده بمعنى يوصل الخير وما ينفعهم لهم، فالصدقة إيصال الخير للغير، وقد يكون هذا الإيصال متعديًّا، وقد يكون لازمًا يعني: قد يكون العبد يوصل الخير لنفسه فيكون متصدقًا، ويوصل الخير لغيره فيكون متصدقًا على غيره، فالصدقة معناها فِي الشّريعة عام؛ ومنها الصدقة بالمال فإنّها إيصال الخير والنفع للغير. قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ "أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُوْنَ" لأنّ معنى الصدقة عام.

قوله "إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيْحَةٍ صَدَقَة. وَكُلِّ تَكْبِيْرَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَحْمِيْدَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَهْلِيْلَةٍ صَدَقَةٌ" : مثّل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِهذه الأربع كما جاء فِي الحديث؛ أربعة أحب الكلام إلى الله أربع لا يضرك بأيّهن بدأت؛ سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله

والله أكبر. **الأول**: أنّها من أنواع الذِّكر اللّسانِي، فمثّل هذا الذكر العظيم له هذا الأجر العظيم، كذلك التّحميد والتهليل والتكبير، ثمّ انتقل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلى نوع من الصدقة متعد. قوله "وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوْفٍ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ" : هذا تمثيل لأنواع الصدقات الّتي فيها التعدي يعني: نفعها متعدي، فذكر الأمر بالمعروف، والمعروف هو ما علم حسنه، والأمر به فِي الشريعة، فما عرف فِي الشّريعة حُسنه فهو معروف؛ والمنكر ضده ما عرف الشريعة فِي الشريعة سوءه ونكارته فمن أمر بما عرف فِي الشريعة حُسنه فقد أمر بالمعروف وأعلاه التّوحيد، ومن نَهى عن المنكر وهو ما أنكر فِي الشّريعة وأعلاه الشرك بالله ﷻ وعلا، فقد نَهى عن المنكر؛ فإذًا كل أمر بمعروف صدقة لك، وكل نَهي عن المنكر صدقة، وتعليم العلم يدخل فِي ذلك، فهو من أنواع الصدقات، فمن لازم العلم تعلمًا وتعليمًا؛ فإنّه يتصدق فِي

كلّ لحظة تمر على نفسه وكذلك على غيره، ولهذا أهل العلم أعظم الناس أجورًا إذا صلحت نياتِهم.

قوله "وَفِيْ بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ" : البضعة المراد به فِي اللغة بعض الشّيء؛ لأنّ البضع والبعض فيها قلب "بضع بعض" يعني: البعض والبضع مقلوبة هذه عن الأخرى فمعناه البعض؛ ولكنهم كنّوا به عن بعض ابن آدم وهو فرجه، وهذا من شريف الكلام؛ حيث يذكر ما يستحي عن ذكره، ولا يحسن ذكره فِي كلمات تدل عليه، ولا يكون لها وقع ينافِي الأدب فِي السمع. قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ "وَفِيْ بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ" يعني: عندما يأتِي المرء زوجته.

قوله " قَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللهِ أَيَأْتِيْ أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُوْنُ لَهُ فِيْهَا أَجْرٌ؟" : المراد بالشّهوة هنا يعني: ماء الرجل الّذي ينزله، وهذا من تمام الشهوة ويكون له فيها أجر يعني: المرء يأتِي شهوته، والشّيء الّذي يحبه، ويكون له بذلك أجر. فقال "

أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فَيْ حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟ " والّذي يوضع هو الماء؛ لهذا فسرت الشهوة هنا بأنّها الماء، فقال "أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فَيْ حَرَامٍ" : وهذا يسمّى استدلال العكس أو قياس العكس، لو وضعها فِي حرام أكان عليه وزر؟ قالوا بلى. قال: فكذلك إذا وضعها فِي حلال كان له أجر، وهذا يعني: أنّ ما يفعله المرء من هذه الأفعال الّتي هي من قبيل الشّهوات إذا أتى بِها الحلال، ونوى بذلك أن يعفّ نفسه عن الحرام؛ فإنّه يؤجر على ذلك، فهذا الحديث العظيم حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد ذكر معنى الصدقة، وأن معناها واسع، وأن أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حريصون أشد الحرص على معرفة حقيقة هذا الدين، ولذلك قال هنا: جاء أناس من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما رأوا الأغنياء يصلون كما يصلي الفقراء ويصومون ويزكون ويتصدقون بفضول أموالهم؛ فأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن معنى الصدقة واسع،

وأنّه يدخل فِي كل ما يوصله المرء من خير إلى غيره. فالحديث يدل على أنّه ينبغي للمسلم المسارعة إلى فعل الخيرات، ومسابقة الصحابة وتنافسهم فِي الأعمال الصالحة، وهم القدوة والأسوة الذين يقتدى بِهم، والحديث دليل على أنّ الصّدقة كما ذكرنا لا تقتصر على المال، وإنّما تكون بالأعمال الأخرى؛ كالتّسبيح والتهليل والتحميد، وأنّ من الصدقات أيضًا الأمر بالمعروف والنهي المنكر هذا كله داخل فِي هذه المعانِي التي دل عليها الحديث بل الحديث دل على أن حسن العشرة الزوجية والإحسان إلى الزوجة أن هذا من القروبات، كذلك الحديث فيه دليل على تدعيم القول بالدليل، كذلك المفتي ينبغي له أن يبين الدليل على فتواه ليؤكد القول بالدليل الذي يدل عليه، وطلب العلم لابد أن يكون مقرونًا بالدليل؛ لأنّ العلم هو معرفة الهدى بدليله فهذا يدل على أن العلم ليس بكثرة الحفظ؛ وإنّما العلم هو

بما كان مقرونًا بالدليل، فحسن تعليم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضربه للمثال، والحديث فيه إثبات القياس حجة فِي الشرع لقوله "أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فَيْ حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فَي الحَلالِ كَانَ لَهُ أَجْر"، والحديث فيه نوع من أنواع القياس، وهو ما يسمى قياس العكس.

ونأخذ قاعدة أن المباحات تصير بالنيات طاعات أن تُصيره النية فيصبح طاعة، فهذا إذا نوى الجماع ونوى به الإحصان، وأنه قضى شهوة لهذه المرأة، وكذلك المرأة بالنسبة للرجل، فإذا نوى الأمر اعفاف نفسه وزوجه يقصد بذلك الأجر من الله عَزَّ وَجَلَّ فهذا مباح لكن صار طاعة ، فالمباحات تصيرها النيات؛ لئن تكون طاعات.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

الحديث السادس والعشرون " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَومٍ تَطْلُعُ فِيْهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِيْنُ الرَّجُلَ في دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُ لَهُ عَلَيْهَا أَو تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيْهَا إِلَى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيْطُ الأَذى عَنِ الطَّرِيْقِ صَدَقَةٌ) رواه البخاري ومسلم".

الشَّرح:

قوله فِي الحديث "كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَومٍ تَطْلُعُ فِيْهِ الشَّمْسُ ".السلامى "المفاصل" وهي ستون وثلاثمائة فصل فِي الإنسان، وجاء تفسيرها فِي الحديث عائشة مسلم، والمعنى أن كل يوم تطلع فيه الشمس فعلى جميع تلك السلامى صدقة فِي ذلك اليوم، ثمّ ذكر بعد ذلك أمثلة ممّا تحصل به الصدقة، وهي فعلية وقولية قاصرة ومتعدية. جاء فِي صحيح مسلم من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى" الله

أكبر! ما أعظم أجر صلاة الضحى التي يغفل عنها كثير من الناس، وذلك أن صلاة هاتين الركعتين يحصل بِهما تحرك المفاصل فِي هذه العبادة وهي الصلاة، فتكون مجزئة عن الصدقات فِي هذا اليوم. كل قرب بِها الإنسان سواء كانت قولية أو فعلية فهي صدقة. وما ذكره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هذا الحديث هو من قبيل التمثيل لا الحصر، فالعدل بين الإثنين يكون فِي الحكم أو الصلح بين متنازعين بالعدل، وهو قوليّ متعد، وإعانة الرجل فِي حمل على دابته أو حمل متاعه عليها هو فعليّ متعدي، وقول الكلمة الطيبة يدخل تحته كل كلام طيب، فكلّ كلام طيب فهو داخل تحت هذا الكلام، فيدخل تحته الذكر والدعاء وقراءة القرآن والتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك وهو كما ذكرت قوليّ قاصر ومتعدي، وكل خطوة يمشيها المسلم إلى الصلاة فهي صدقة من المسلم على نفسه وهو فعليٌّ

قاصر، وإماطة الأذى عن الطريق من شوك أو حجر أو زجاج وغير ذلك هو صدقة وهي هذا الفعل فعليّ متعدي .

فالحديث يفيدنا: على أنّ كل سلامة من الإنسان كل يوم صدقة سواء كانت قاصرة أو متعدية.

❊ الحث على الإصلاح بين المتنازعين بالعدل.

❊ حث المسلم على إعانة غيره بما يحتاج إليه كحمله على دابته أو حمل متاع عليها.

❊الترغيب فِي كل كلام طيب من ذكر وقراءة للقرآن ودعوة وأمر بمعروف ونَهي عن منكر، وغير ذلك.

❊ فضل المشي إلى المساجد وقد جاء بحديث آخر أنّه يكتب له ممشاه فِي ذهابه وإيابه كما فِي صحيح مسلم .

❊فضل إماطة الأذى عن الطّريق أيضًا فِي حديث آخر أنه من شعب الإيمان إماطة الأذى عن الطّريق فهذا من شعب الإيمان.

فالحث فِي الحديث على تنوع الصدقة، والحث على حصول أجر الجماعة بالمشي إليها ليصلي فِي المسجد، ونأخذ قاعدة فِي الكلام وهي كل كلمة طيبة صدقة هذه القاعدة قال لنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "والكلمة الطيبة صدقة"، والكلمة الطيبة على نوعين؛ فِي أسلوبِها وفِي أصلها؛ فِي الأصل كقراءة القرآن والأذكار ونحوه، فِي الأسلوب كالسؤال عن حال الإنسان بقولك مثلًا: كيف حالك، وكيف حال أبيك، وكيف حال أبنائك، كيف حال إخوتك؟ وهكذا..

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

الحديث السابع والعشرون " عن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك فِي نفسك وكرهت أن يطلع عليه النّاس) .رواه مسلم. وعن وابصة بن معبد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال : أتيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال : (جئت تسأل عن البر و الإثم ؟) قلت : نعم ؛ قال : (استفت قلبك ؛

البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن اليه القلب، والإثـمّ ما حاك فِي النفس وتردد فِي الصّدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك)(1) حديث حسن".

الشَّرح:

فالبر كلمة جامعة تشمل أمور الباطنة الّتي فِي القلب والأمور الظّاهرة والتي تكون على اللّسان والجوارح، فالبر

---

(1) وفِي إسناده مقال لكن له شواهد بأسانيد جيدة ذكرها الحافظ بن رجب فِي جامع العلوم والحكم وهو في الجملة مماثل لحديث النواس ابن سمعان

يشمل الأمور الظاهرة والأمور الباطنة، ويطلق البر على خصوص بر الوالدين لاسيما إذا قرن بالصلة؛ فإنّه يراد بِهما بر الوالدين وصلة الأرحام ويأتِي البر مقرونا بالتّقوى فعند اجتماع البر و التقوى يختلف المعنى فيكون يفسر البر بفعل الطاعات والتقوى؛ والتقوى بترك المنهيات، فإذا أُفرد

أحدهما عن الآخر بالذّكر شمل المعنيين جميعًا. وهذا نظير الإسلام والإيمان والفقير والمسكين. جاء فِي حديث النواس ابن البر حسن الخلق وحسن الخلق يحتمل أن يكون المراد به خصوص الخلق الكريم المعروف بِهذا الاسم حسن الخلق، ويكون تفسير البر به لأهميته وعظيم شأنه وهو نظير **"الدين النصيحة" و"الحج عرفة"**، ويمكن أن يراد به العموم والشمول لكل ما هو خير ويدل عليه وصف أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لخلق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سألت عنه فقالت: كان خلقه القرآن. المعنى أنه يتأدب بآدابه ويمتثل أوامره، ويجتنب نواهيه.

قوله فِي الحديث **"والإثم ما حاك فِي نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس"** : من الإثم ما يكون واضحًا وجليًّا، ومنه ما يحوك فِي الصّدر ولا تطمئن إليه النفس. ويكره الإنسان أن يطلع عليه الناس؛ لأنّه ممّا يستحيا من فعله، فيخشى صاحبه

ألسنة الناس فِي نيلهم منه، وهو شبيه بما جاء فِي الأحاديث الثلاثة الماضية الّتي مرت معنا "فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه"، وحديث "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك" وحديث" إن مما أدرك الناس من كلام النبوة؛ إذا لم تستح فاصنع ما شئت"، والإثم يراد به عموم المعاصي الواضحة والمشتبهة. ويأتي مقترنًا بالعدوان، فيفسر بالاعتداء والظلم، فيدخل فيه الاعتداء على النّاس فِي دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ففسر البر فِي الحديث بما اطمأنت إليه النّفس واطمأن إليه القلب، ولا يظهر فرق بينهما فقد تكون الجملة الثانية مؤكدة للجملة الأولى لاتفاقهما فِي المعنى، وفسّر فيها الإثم بما يقابل ذلك وهو بمعنى ما فسّر به الإثم فِي حديث النواس ابن سمعان.

قوله فِي حديث وابصة " استفت قلبك ؛ البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن اليه القلب ، والإثم ما حاك فِي النفس وتردد في

الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك " : يدل على أن ما كان فيه شبهة وريبة ولا يطمئن إليها القلب فأن السلامة تكون فِي تركه ولو حصل الناس به المقصود أن من كان من أهل الإيمان ويخاف الله ويتقيه لا يقدم على الشّيء الّذي لا يطمئن إليه قلبه، وقد يكون الإفتاء ممن لا علم عنده وقد يكون ممن عنده علم، ولكن ليس فِي المسألة دليل بيّن يعوّل عليه بالفعل. أما إذا كان فِي المسألة دليل من الكتاب والسنة فالمتعين المصير إليه واستفتاء القلب لا يكون من أهل الفجور والمعاصي. فإن من أولئك من قد يجاهر بالمعاصي ولا يستحي من الله ولا من خلقه، فمثل أولئك يقعون فِي الحرام البيّن ومن باب أولى الأمور المشتبهة .

ما جاء فِي حديث وابصة من إخبار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له بالسبب الذي جاء به، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جئت تسأل عن البر" علم لعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم باهتمام هذا

الصّحابي بمعرفة البر و الإثم فلعله حصل له مراجعة النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قبل فِي شيء من ذلك .

فالحديث يفيدنا: بيان عظم شأنه حسن الخلق، وأن البر والإثم من الكلمات الجامعة، وأن المسلم يقدم فِي أمور دينه على فعل ما هو واضح. الحل دون ما هو مشتبه، وأن المؤمن الذي يخاف الله لا يفعل ما لا يطمئن إليه قلبه ولو أفتى به من أفتى ما لم يكن الأمر واضحًا فِي الشرع كالرخص .

*الحديث يفيد حرص الصحابة رضوان الله عليهم على معرفة الحلال والحرام لشدة تقواهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

ونأخذ من الحديث قاعدة فِي قبول الحق، وهي أن مدار قول قبول الحق على الاستدلال لا على ما أشتهر من الأقوال لما

ورد فِي الحديث "وإن أفتاك الناس أفتوك" فلا يرجح بكثرة قائل ولا بقوة قائل وإنّما بقوة الدليل.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الثامن والعشرون " عَن أَبي نَجِيحٍ العربَاضِ بنِ سَارِيَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ مَوعِظَةً وَجِلَت مِنهَا القُلُوبُ وَذَرَفَت مِنهَا العُيون. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوصِنَا، قَالَ: (أُوْصِيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ ﷻ وَالسَّمعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرَاً؛ فَعَلَيكُمْ بِسُنَّتِيْ وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فإنَّ كلّ مُحدثةٍ بدعة، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ) رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح.

الشَّرح:

قول العرباض ابن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ مَوعِظَةً وَجِلَت مِنهَا القُلُوبُ وَذَرَفَت مِنهَا العُيون" : الموعظة هي ما كان من الكلام فيه ترغيب وترهيب يؤثر على النفوس ويبلغ القلوب فتوجل من مخافة الله تعالى، وقد وصف العرباض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الموعظة بِهذه الصّفات الثّلاثة الّتي هي البلاغة ووجل القلب وذرف العيون، وقد ذكر الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أن البلاغة فِي الموعظة مستحسنة. لأنّها أقرب إلى قبول القلوب واستجلابِها؛ والبلاغة هي التوصُّل إلى إفهام المعانِي المقصودة وإيصالها إلى قلوب السامعين، والبلاغة هي بأحسن صورة من الألفاظ الدالة عليها، وأفصحها وأحلاها للأسماع وأوقعها فِي القلوب.

وقد وصف الله المؤمنين بوجل قلوبِهم وذرف عيونِهم عند ذكر الله، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ}، وقال: {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ}

قوله: "قلنا: يا رسول الله! كأنَّها موعظة مودِّع فأوصنا" أي : أنَّ هذه الوصية تشبه موعظة المودِّع، لذا فقد طلب الصحابة الكرام وهم الحريصون على كلِّ خير وصيَّة جامعة يعهد بِها إليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يتمسَّكون بِها ويُعوِّلون عليها؛ لأنَّ الوصيَّة عند الوداع لها وقع فِي النفوس، ولعلَّ هذه الموعظة كان فيها ما يشعر بالتوديع، لذا طلبوا هذه الوصيَّة.

قوله: "أوصيكم بتقوى الله"، تقوى الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعل المرء بينه وبين غضب الله وقاية تقيه منه، وذلك بفعل الطاعات واجتناب المعاصي، وتصديق الأخبار، وهي وصيَّة الله للأولين والآخرين، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ}، وهي سبب كلِّ خير وفلاح فِي الدنيا والآخرة، ويأتي الأمر بتقوى الله في كثير من الآيات، لا سيما الآيات المبدوءة بـ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، وكذلك فِي وصايا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه.

قوله: "والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبد" وهي وصيَّة بالسمع والطاعة لولاة الأمور فِي غير معصية الله، ولو كان الأمير عبداً، وقد أجمع العلماء على أنَّ العبدَ ليس أهلاً للخلافة، ويُحمل ما جاء فِي هذا الحديث وغيره من الأحاديث فِي معناه على المبالغة في لزوم السمع والطاعة للعبد إذا كان خليفة، وإن كان ذلك لا يقع، أو أنَّ ذلك يحمل على تولية الخليفة عبداً على قرية أو جماعة، أو أنَّه كان عند التولية حرًّا، وأُطلق عليه عبد باعتبار ما كان، أو على أنَّ العبدَ تغلَّب على الناس بشوكته واستقرَّت الأمور واستتبَّ الأمن؛ لِمَا فِي منازعته من حصول ما هو أنكر من ولايته.

قوله: "فإنَّه مَن يعِش منكم فسيرى اختلافًا كثيراً"، هذا من دلائل نبوَّته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث أخبر عن أمر مستقبَل وقع طبقًا لِمَا أخبر به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنَّ الذين طالت أعمارُهم من أصحاب النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أدركوا اختلافًا كثيراً ومخالفة لِمَا كان عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وذلك بظهور بعض فرق الضلال، كالقدرية والخوارج وغيرهم.

قوله: "فعليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين، عضُّوا عليها بالنَّواجذ"، لَمَّا أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحصول التفرُّق وكثرته، أرشد إلى طريق السلامة والنجاة، وذلك بالتمسُّك بسنَّته وسنَّة خلفائه الراشدين، وخلفاؤه الراشدون هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد وصف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلافتَهم بأنَّها خلافةُ نبوَّة، كما جاء فِي حديث

سفينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : "خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي اللهُ الملكَ أو ملكَه من يشاء" رواه أبو داود (٤٦٤٦) وغيرُه، وهو حديث صحيح، أورده الألبانِي فِي السلسلة الصحيحة (٤٦٠)، ونقل تصحيحه عن تسعة من العلماء، قال ابن رجب (٢/ ١٢٠) : "والسنَّة هي الطريقة المسلوكة، فيشمل ذلك التمسُّك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنَّة الكاملة، ولهذا كان السلف قديمًا لا يطلقون اسم السنَّة إلاَّ على ما يشمل ذلك كلَّه، وروي معنى ذلك عن الحسن والأوزاعي والفضيل بن عياض، وكثير من العلماء المتأخرين يخصُّ اسمَ السنَّة بما يتعلَّق بالاعتقادات؛ لأنَّها أصلُ الدِّين، والمخالف فيها على خطر عظيم."

وقد حثَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على التمسُّك بسنَّته وسنَّة خلفائه الراشدين بقوله: "فعليكم"، وهي اسم فعل أمر، ثم أرشد إلى شدَّة التمسُّك بِها بقوله: "عضُّوا عليها بالنَّواجذ"، والنواجذ هي الأضراس، وذلك مبالغة فِي شدَّة التمسُّك بِها.

قوله: "وإيَّاكم ومحدثات الأمور؛ فإنَّ كلَّ بدعة ضلالة"، فِي رواية أبي داود (٤٦٠٧) : "وإيَّاكم ومحدثات الأمور؛ فإنَّ كلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة"، محدثات الأمور ما أُحدِث وابتُدع فِي الدِّين مِمَّا لم يكن له أصل فيه، وهو يرجع إلى الاختلاف والتفرُّق المذموم الذي ذكره النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بقوله: "فإنَّه مَن يَعش منكم فسيرى اختلافًا كثيراً"، وقد وصف النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلَّ البدع بأنَّها ضلال، فلا يكون شيءٌ من البدع حسنًا؛ لعموم قوله: "وكل بدعة ضلالة"، وقد روى محمد بن نصر فِي كتابه السنة بإسناد صحيح عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: "كلُّ بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة"، وذكر الشاطبي فِي الاعتصام عن ابن الماجشون قال: سمعت مالكًا يقول: "مَن ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أنَّ محمداً خان الرسالة؛ لأنَّ الله يقول: {لْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} ، فما لم يكن يومئذ دينًا فلا يكون اليوم دينًا"، وقال أبو

عثمان النيسابوري: "مَن أَمَّر السنَّة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومَن أَمَّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة"، انظر: حلية الأولياء (١٠/ ٢٤٤)، وأمَّا الحديث الذي رواه مسلم فِي صحيحه (١٠١٧): "مَن سنَّ في الإسلام سنَّة حسنة فله أجرها، وأجر مَن عمل بِها" فهو محمولٌ على القدوة الحسنة فِي الخير، كما هو واضح من سبب الحديث، وهو أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حثَّ على الصدقة، فأتى رجلٌ من الأنصار بصُرَّة كبيرة، فتابعه الناسُ على الصدقة، فعند ذلك قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما قال، وهو محمولٌ أيضًا على مَن أظهر سنَّة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأحياها، كما حصل من عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي جمع الناس على صلاة التراويح في رمضان، فإنَّه إظهارٌ لسنَّته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلَّى بالناس قيام رمضان فِي بعض الليالي، وتركه خشية أن يُفرض عليهم، كما فِي صحيح البخاري (٢٠١٢)، فلمَّا توفِي

رسول الله ﷺ ذهب ما كان يُخشى من الفرض لانقطاع التشريع بوفاته ﷺ، فبقي الاستحباب، فأظهره عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أيضاً من سنَّة الخلفاء الراشدين، وما جاء عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قوله: "نعم البدعة"، كما فِي صحيح البخاري (٢٠١٠) يريد إظهار صلاة التراويح، يُراد به البدعة اللغوية، ومثل ذلك زيادة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأذان يوم الجمعة، وقد وافقه عليه الصحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهو من سنَّة الخلفاء الراشدين، وما جاء عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّه بدعة، فهو محمولٌ إن صحَّ على البدعة اللغوية.

مِمَّا يُستفاد من الحديث:

* استحباب الموعظة والتذكير فِي بعض الأحيان؛ لِمَا فِي ذلك من التأثير على القلوب.

* حرص الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على الخير؛ لطلبهم الوصيَّة منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

*أنَّ أهمَّ ما يوصى به تقوى الله عَزَّ وَجَلَّ، وهي طاعته بامتثال أمره واجتناب نَهيه.

* أنَّ من أهمِّ ما يوصى به السمع والطاعة لولاة الأمور؛ لِمَا فِي ذلك من المنافع الدنيوية والآخروية للمسلمين.

*المبالغة فِي الحثِّ على لزوم السمع والطاعة، ولو كان الأمير عبداً.

* إخبار النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن وجود الاختلاف الكثير فِي أمَّته، ثمّ حصوله كما أخبر من دلائل نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

* أنَّ طريق السلامة عند الاختلاف فِي الدِّين لزوم سنَّته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسنَّة الخلفاء الراشدين.

❋ بيان فضل الخلفاء الراشدين، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأنَّهم راشدون مهديُّون.

❋ التحذير من كلِّ ما أُحدث في الدِّين مِمَّا لم يكن له أصل فيه.

❋ أنَّ البدع كلَّها ضلال، فلا يكون شيء منها حسنًا.

❋ الجمع بين الترغيب والترهيب؛ لقوله فِي الترغيب: "فعليكم"، وفِي الترهيب: "وإيَّاكم".

❋ بيان أهميَّة الوصية بتقوى الله والسمع والطاعة لولاة الأمور، واتِّباع السنن وترك البدع؛ لكون النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوصى أصحابَه بِها بعد قوله عن موعظته: "كأنَّها موعظة مودِّع فأوصنا".

هذا الحديث العظيم الجليل الحديث الشامل لهذه الأمور التي قالها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أيضًا نأخذ من الحديث قاعدة فِي الإتباع؛ وهي أن كل بدعة ضلالة؛ وعليه فلا يوجد بدعة حسنة .

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث التاسع والعشرون " عَن مُعَاذ بن جَبَلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلتُ يَا رَسُولَ الله أَخبِرنِي بِعَمَلٍ يُدخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدنِي مِنِ النار قَالَ: (لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيْمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيْرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيْمُ الصَّلاة، وَتُؤتِي الزَّكَاة، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيْتَ. ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيْئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ثُمَّ تَلا : (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) حَتَّى بَلَغَ: (يَعْلَمُونْ) [السجدة:١٦-١٧] ثُمَّ قَالَ: أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ ؟ قُلْتُ: بَلَى يَارَسُولَ اللهِ، قَالَ: رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ وَذروَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ ثُمَّ قَالَ: أَلا أُخبِرُكَ بِملاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ ؟ قُلْتُ: بَلَى يَارَسُولَ اللهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا. قُلْتُ يَانَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا

نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَامُعَاذُ. وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَو قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلسِنَتِهِمْ) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

الشَّرح:

قوله: "قلت: يا رسول الله! أخبرنِي بعمل يُدخلني الجنَّة ويُباعدنِي عن النار" يدلُّ على حرص الصحابة على الخير ومعرفة الأعمال الّتي بِها حصول الجنَّة والسلامة من النار، يعني: كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يحرصون على أن يسألوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يقربهم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ما جاءوا يسألونه على الدنيا وإنّما جاءوا يسألونه عن العمل الذي إذا عملوه أدخلهم الله الجنة؛ لأنّهم يعلمون أنّ الله عَزَّ وَجَلَّ إنّما خلقهم لعبادته؛ كما قال تعالى: "خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" (الذريات-٥٦)"، فلذلك سؤال هذا الصّحابي يدل على حرص

الصحابة على الخير ومعرفة الأعمال الّتي بِها حصول الجنة والسلامة من النار، ويدلُّ على وجود الجنَّة والنار، وأنَّ أولياء الله يعملون الصالحات ليظفروا بالجنَّة ويسلموا من النار، ويدل هذا الحديث على أن الأعمال الصالحة سبب لدخول الجنة، وقد جاء فِي ذلك آيات كثيرة فِي هذا المعنى مثل قوله تعالى: {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}. وقال تعالى " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا " (مريم-٩٦)، وذلك لا يُنافِي ما جاء فِي الحديث: "لن يدخل أحدكم بعمله الجنَّة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله! قال: ولا أنا، إلاَّ أن يتغمَّدنِي الله برحمته"(1) ، فإنَّ الباءَ فِي الحديث للمعاوضة، وفِي الآيات "وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ"، ودخول الجنَّات ليس عوضاً عن الأعمال، وإنَّما الأعمال الصالحة أسباب لها، والله ﷻ تفضَّل بالتّوفيق للسبب، وهو العمل الصالح، وتفضَّل

بالجزاء الذي هو دخول الجنَّة، فرجع الفضل فِي السبب والمسبب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: "لقد سألت عن عظيم، وإنَّه ليسير على مَن يسَّره الله تعالى عليه"، فيه بيان عظيم منزلة هذا السؤال وأهميَّته والتشجيع على مثله؛ حيث وصف الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسئول عنه

(١) رواه البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦)

فيه بأنَّه عظيم، ومع عظمه ومشقَّة الإتيان به فقد أتبعه النَّبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما يُبيِّن سهولته ويُسرَه على مَن يسَّره الله عليه، وهو يدلُّ على أنَّ المسلمَ يصبر على الطاعات ولو شقَّت عليه؛ لأنَّ عاقبة الصبر حميدة، وقد قال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "حُفَّت الجنَّة بالمكاره، وحُفَّت النَّار بالشهوات"(1)

فالحديث يقول فِي جواب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتِي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت"، بيَّن النَّبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ أهمَّ شيء تعبد الله

ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتِي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، فبين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أهم شيء يتقرب به إلى الله ﷻ ويحصل به الظفر بالجنة والسلامة من النار؛ أداء الفرائض، وهي فِي هذا الحديث أركان الإسلام

---

(1) رواه البخاري (٦٤٨٧)، ومسلم (٢٨٢٢)

الخمسة التي جاءت فِي حديث جبريل وحديث ابن عمر" بُنِي الإسلام على خمس"، وقد جاء فِي الحديث القدسي "وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبُّ إليَّ مِمَّا افترضته عليه"، وقوله" تعبد الله ولا تشرك به شيئًا"مشتملٌ على بيان حقِّ الله، وهو إخلاص العبادة لله، ويدخل فِي ذلك شهادة أنَّ محمداً رسول الله؛ لأنَّ عبادةَ الله لا تُعرف إلاَّ بتصديق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والعمل بما جاء به، وكلُّ عمل يُتقرَّب به إلى الله لا ينفع صاحبَه إلاَّ إذا كان خالصاً لله ومبنيًّا على

اتِّباع سنَّة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والشهادتان متلازمتان، لا بدَّ مع شهادة أن لا إله إلاَّ الله من شهادة أنَّ محمداً رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقد ذكِرت فِي الحديث هذه الأركان مرتَّبة على حسب أهميَّتها، وقُدِّمت الصلاة لكونِها صلة وثيقة بين العبد وبين ربِّه؛ لتكرُّرِها فِي اليوم والليلة خمس مرَّات، وذكر بعدها الزكاة؛ لأنَّها لا تأتِي فِي العام إلاَّ مرَّة واحدة، ونفعها يحصل لدافع الزكاة والمدفوعة إليه، ثمّ بعد ذلك الصيام؛ لتكرُّره فِي كلِّ عام، وبعده الحج؛ لأنَّه لا يجب فِي العمر إلاَّ مرَّة واحدة.

قوله" :ألاَ أدلُّك على أبواب الخير؟ الصومُ جُنَّة، والصدقةُ تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النار، وصلاةُ الرجل فِي جَوف الليل، ثم تلا} :تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ"{، حتى بلغ} يَعْلَمُونَ{" لَمَّا بيَّن صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الفرائضَ التي هي سبب فِي دخول الجنَّة والسلامة من النار، أرشد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى جملة من النوافل التي يحصل للمسلم بِها

زيادة الإيمان وزيادة الثواب وتكفير الذنوب، وهي الصدقة والصيام وقيام الليل، وقال عن الصوم "الصومُ جُنَّة"، والجُنَّة هي الوقاية، والصوم وقاية فِي الدنيا والآخرة، فهو وقاية فِي الدنيا من الوقوع فِي المعاصي، فعن عبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال" يا معشر الشباب! مَن استطاع منكم الباءة فليتزوَّج، فإنَّه أحصن للفرج وأغض للبصر، ومَن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنَّه له وِجاء"(١)، وهو وقاية في الآخرة من دخول النار، وقد جاء في الحديث : "مَن صام يومًا في سبيل الله بعَّد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا"(٢)رواه البخاري) ٢٨٤٠. (

قوله "والصدقة تطفئ الخطيئة كما يُطفئ الماء النار"، فيه بيان

(١)رواه البخاري) ١٩٠٥ (، ومسلم) ١٤٠٠ (٢)رواه البخاري (٢٨٤٠) .

عظم شأن الصدقة النافلة، وأنَّ الله تعالى يحطُّ بِها الخطايا"، ويُطفئها بِها كما يُطفئ الماءُ النارَ، والخطايا هي

الصغائر، وكذلك الكبائر مع التوبة منها، وتشبيه النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إطفاء الصدقة للخطايا بإطفاء الماء النار يدلُّ على زوال الخطايا كلّها؛ فإنَّ المشاهد فِي الماء إذا وقع على النار أنَّه يزيلها حتى لا يبقى لها وجود.

وقوله: "وصلاة الرَّجل فِي جوف الليل" هذا هو الأمر الثالث من أبواب الخير، التي يُتقرَّب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بِها،

قوله: "ألاَ أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سَنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله! قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد"، المراد بالأمر الشأن الذي هو أعظم الشؤون، وهو الدِّين الذي بُعث به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رأسه الإسلام وهو عام، يشمل الصلاة والجهاد وغيرهما، وقد ذكر الصلاة ووصفها بأنَّها عمود الإسلام، شبَّه ذلك بالبناء الذي يقوم على أعمدته، وهي أهمُّ العبادات البدنية القاصر نفعها على صاحبها، ثم ذكر الجهاد الذي يشمل جهاد النفس وجهاد الأعداء من كفَّار ومنافقين، ووصفه بأنَّه ذروة سنام

الإسلام؛ وذلك أنَّ فِي الجهاد قوةَ المسلمين وظهورَ دينهم وعلوَّه على غيره من الأديان.

قوله: "ألاَ أخبرك بمِلاكِ ذلك كلِّه؟ قلت: بلى يا رسول الله! فأخذ بلسانه، ثم قال: كُفَّ عليك هذا، قلت: يا نبيَّ الله! وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلَّم به؟ فقال: ثكِلتك أمُّك! وهل يَكبُّ الناسَ فِي النَّار على وجوههم أو قال: على مناخرهم إلاَّ حصائدُ ألسنتهم؟!"، فِي هذا بيان خطر اللسان، وأنَّه الذي يوقع فِي المهالك، وأنَّ مِلاَك الخير فِي حفظه، حتى لا يصدر منه إلاَّ ما هو خير، كما قال ﷺ: "مَن يضمن لي ما بين لحْيَيْه ورِجليه أضمن له الجنَّة" رواه البخاري (٦٤٧٤)، وقال ﷺ: "من كان يؤمن بالله اليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"، "والمرادُ بحصائد الألسنة جزاءُ الكلام المحرَّم وعقوباته، فإنَّ الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيِّئات، ثم يحصد يوم القيامة ما زرع، فمَن زرَع خيراً مِن قول أو عمل حصد الكرامةَ، ومَن زرع شرًّا من قول أو عمل حصد غداً النَّدامةَ، وظاهرُ حديث

معاذ يدلُّ على أنَّ أكثرَ ما يدخل به الناسُ النارَ النطقُ بألسنتهم، فإنَّ معصيةَ النطق يدخل فيها الشركُ، وهو أعظم الذنوب عند الله ﷻ، ويدخل فيها القولُ على الله بغير علم، وهو قرين الشرك، ويدخل فيها شهادةُ الزور التي عدَلت الإشراك بالله ﷻ، ويدخل فيها السِّحر والقذف وغير ذلك من الكبائر والصغائر، كالكذب والغيبة والنَّميمة، وسائرُ المعاصي الفعلية لا يخلو غالبًا من قول يقترن بها يكون معينًا عليها."

وقوله: "ثكلتك أمُّك" قال الشيخ ابن عثيمين فِي شرح هذا الحديث: " أي: فقدتك حتى كانت ثكلى من فقدك، وهذه الجملة لا يُراد بها معناها، وإنَّما يُراد بها الحثُّ والإغراء على فهم ما يُقال"، بل إنَّ ما جاء من ذلك في هذا الحديث وما يُماثله يكون من قبيل الدعاء لِمَن أضيف إليه، ويدلُّ له الحديث فِي صحيح مسلم (٢٦٠٣) عن أنس، وفيه قول الرسول ﷺ: "يا أمَّ سُليم! أمَا تعلمين أنَّ شرطي على ربِّي أنِّي

اشترطتُّ على ربِّي، فقلت: إنَّما أنا بشر، أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر، فأيُّما أحد دعوت عليه من أمَّتي بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها له طهوراً وزكاة وقربة يقربه بها منه يوم القيامة"، ومن دقَّة الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى وحسن ترتيبه صحيحه أنَّه أورد عقب هذا الحديث حديثَ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فِي قوله فِي معاوية: "لا أشبع اللهُ بطنَه"، فيكون دعاءً له، وليس دعاء عليه.

مِمَّا يُستفاد من الحديث:

*حرص الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ على الخير ومعرفة ما يوصل إلى الجنَّة ويُباعد من النار.

* أنَّ الجنَّة والنار موجودتان، وهما باقيتان لا تفنيان

* أنَّ عباد الله يرجون ثواب الله ويخشون عقابه.

*أنَّ أهمَّ شيء كُلِّف به الثقلان عبادة الله عَزَّ وَجَلَّ.

*أنَّ عبادةَ الله لا تُعتبر إلاَّ إذا بُنيت على الشهادتين، وهما متلازمتان، ولا يُقبل العمل إلاَّ إذا كان خالصاً لله، ومطابقاً لِما جاء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

*بيان عظم شأن أركان الإسلام؛ حيث دلَّ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذاً عليها من بين الفرائض التي فرضها الله عَزَّ وَجَلَّ.

*أنَّ هذه الفرائض مرتَّبة في أهميَّتها حسب ترتيبها فِي هذا الحديث.

*الحثُّ على الإتيان بالنوافل مع الإتيان بالفرائض

*أنَّ عبادة الله يُرجى فيها دخول الجنَّة والسلامة من النار، وليس كما يقول بعض الصوفية إنَّ الله لا يُعبد رغبة في جنَّته ولا خوفاً من ناره.

* بيان أهميَّة العمل المسئول عنه، وأنَّه عظيم.

*أنَّ الطريقَ الموصل إلى النجاة شاق، وسلوكه يحصل بتيسير الله.

*أنّ الصّلاة هي عمود الإسلام .

*بيان فضل الجهاد.

* بيان خطورة اللسان، وأنَّه يُفضي إلى المهالك ويُوقع فِي النار، فعلى المرء أن يحذر أشد الحذر من أن يقول بلسانه ما يكون سببًا فِي هلاكه.

ونأخذ من الحديث قاعدة فِي الفوز والنجاة؛ أن الدّين والتمسك به يسير لمن وفقه الله، والتيسير فِي الأمور كثيرة ولكن على المسلم أن يدعو الله ﷻ بالثبات، وأن يلزم الواسطية لا إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا جفاء ولا تقصير.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

الحديث الثلاثون : "عَنْ أَبِيْ ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ جُرثُومِ بنِ نَاشِرٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ اللهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُوداً فَلا تَعْتَدُوهَا وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلا تَبْحَثُوا عَنْهَا) حديث حسن رواه الدار قطني وغيره

الشَّرح:

هذا الحديث قسّم فيه أحكام الله أربعة أقسام: فرائض، ومحارم، وحدود، ومسكوت عنه، وذلك يجمع أحكام الدِّين كلَّها، قال الإمام السّمعانِي: "هذا الحديث أصل كبير من أصول الدِّين، قال: وحُكي عن بعضهم أنَّه قال ليس فِي أحاديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديثٌ واحد أجمعَ بانفراده لأصول العلم وفروعِه من حديث أبي ثعلبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنّه جمع هذه الأمور الأربعة؛ ثمّ قال أبو بكر ابن السمعانِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "فمَن عمل بِهذا الحديث فقد حاز الثواب، وأمن العقاب؛ لأنَّ مَن

أدَّى الفرائضَ، واجتنب المحارمَ، ووقف عند الحدود، وترك البحث عما غاب عنه، فقد استوفَى أقسامَ الفضل، وأوفَى حقوق الدِّين؛ لأنَّ الشرائعَ لا تخرج عن هذه الأنواع المذكورة فِي هذا الحديث"

قوله فِي الحديث".

قوله: "إنَّ الله فرض فرائض فلا تضيِّعوها"، أيْ: أوجب أشياء وجعل فرضها حتماً لازماً، كالصّلاة والزّكاة والصّيام والحجِّ، فيجب على كلِّ مسلم الإتيان بِها كما أمر الله، دون ترك لها أو حصول إخلال فِي فعلها.

قوله: "وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها"، أيْ: شرع أمورًا هي واجبة أو مستحبَّة أو مباحة، فلا يتجاوز تلك الحدود إلى غيرها، فيقع في أمر حرام، وذلك كالمواريث التي بيَّنها الله ﷻ فِي كتابه، فلا يجوز لأحد أن يتعدَّاها وأن يأتِي بقسمة تخالفها،

وتأتِي الحدود مراداً بِها ما حرَّم الله، فيكون الواجب على المسلم أن لا يقرَبها.

قوله: "وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها"، أيْ: أنَّ ما حرَّمه الله لا يجوز للمسلمين أن يقعوا فيه، بل يتعيَّن عليهم تركه، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ما نَهيتُكم عنه فاجتنبوه".

قوله "وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان، فلا تبحثوا عنها"، أيْ: هناك أمور لم يأت النصُّ عليها فِي الكتاب والسنَّة، فلا يُشتغل فِي البحث عنها والسؤال عنها، وذلك مثل السؤال عن الحجِّ في كلِّ عام، وغير ذلك من الأسئلة الّتي لا تعني الشخص، ولا يستفيد منها، والمسكوتُ عنه، فهو ما لم يُذكر حكمُه بتحليل ولا إيجاب ولا تحريم، فيكون معفوًّا عنه لا حرج على فاعله، وعلى هذا دلَّت هذه الأحاديث والأحاديث الأخرى التي بمعنى هذا الحديث العظيم.

يفيدنا هذا الحديث:

*أنّ الله تعالى هو الّذي يفرض على عباده ويوجب، فالأمر بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

*أنّ الدّين ينقسم إلى الأقسام الأربعة المذكورة؛ فرائض ومحرمات، وحدود، ومسكوت عنه.

*وصف الله تعالى بالسكوت، و سكت عن أشياء والله ﷻ إن شاء يتكلم وإن شاء لا يتكلم فهو سبحانه يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد

*إثبات صفة الرّحمة لله ﷻ.

*نفي صفات النقص عن الله تعالى؛ ومن ذلك النسيان لقوله "غير نسيان"

ونأخذ من الحديث قاعدة فقهية "الأصل فيما سكت عنه الشارع الإباحة إلّا فِي العبادات؛ فالأصل فيها المنع.

قال المُصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

الحديث الحادي والثلاثون : " عَنْ أَبي العَبـاس سَـعدِ بـنِ سَـهلٍ السَّاعِدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَـى النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَـالَ: يَا رَسُول الله: دُلَّني عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلتُهُ أَحَبَّني اللهُ، وَأَحبَّني النَاسُ ؟ فَقَالَ: (ازهَد في الـدُّنيَا يُحِبَّـكَ اللهُ ، وازهَـد فيمَـا عِنـدَ النَّـاسِ يُحِبَّـكَ النَّـاسُ) حـديث حسـن رواه ابـن ماجـة وغيـره بأسـانيد حسـنة".

الشَّرح:

أصحابُ رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحـرصُ النّاس علـى كـلِّ خير، وأسبقُ الناس إلى كلِّ خير، وكما تقـدم معنـا جملـة مـن الأحاديث كيف أنّهم يأتون النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيسألونه عمـا يقربهم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ عن النار، وقد حرص هذا الصـحابيُّ علـى معرفـة مـا يجلـبُ لـه محبَّـةَ الله ومحبَّـة النـاس، فسـأل النَّبـيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا السؤال.

قوله: "ازهد فِي الدنيا يُحبّك الله"، بيَّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ محبَّة الله ﷻ تُحصَّلُ بالزهد فِي الدنيا، وأحسن ما قيل فِي بيان المراد بالزهد فِي الدنيا ترك الإنسان كلَّ ما يشغله عن الله، فإذا ترك ما يشغله عن الله ﷻ، وحافظ على ما يقربه إلى الله ﷻ، فإنّه يكون زاهدًا.

قوله: "وازهد فيما عند الناس يُحبّك الناس"، الناسُ حريصون على المال والمتاع فِي الحياة الدنيا، والغالب عليهم إمساكُ ما فِي أيديهم، ولا يُعجبهم مَن يطمع فيما عندهم أو يتطلَّع إليه، فإذا استغنى الإنسانُ عنهم نال إعجابَهم وظفر بمحبَّتهم، وإذا ظفر بمحبَّتهم سلم من شرِّهم. فلذلك أرشد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هذا المعنى العظيم فِي هذا الحديث.

فالحديث يفيدنا:

*علو همة أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أسئلته كما تقدم معنا فِي جملة من الأحاديث يأتون صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان جلّ

همهم أن يسألوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عما يقربهم إلى الله ﷻ، وهذه هي الهمة العالية؛ لأنّ الإنسان إنما خلق لعبادة الله ﷻ.

* إثبات محبة الله ﷻ وأنّ من طرقها الموصلة إليها الزهد.

نأخذ من الحديث لا بأس أن يبحث الإنسان عن محبة الناس له، وطريقها فقد بينها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أن يزهد فيما عند الناس.

*فضيلة الزهد فِي الدنيا وكذا الزهد فِي أيدي الناس والزهد ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الزهد فِي الشرك واجب، والزهد فِي المعاصي واجب، والزهد فِي الحلال مستحب وهو مراده فِي الحديث.

ونأخذ من الحديث قاعدة فِي التعامل "**كلما كنت عما فِي أيدي الناس أبعد؛ كلما كنت لهم أحب**".

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الثانِي والثلاثون: " عن أبي سعيد سعد بن مالك بن

سنان الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال: (لا ضرر ولا ضرار) . حديث حسن رواه ابن ماجه والدار قطني وغيرهما مسنداً، ورواه مالك في الموطأ مرسلاً عن عمرو بن يحيى، عن أبيه، عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأسقط أبا سعيد، وله طرق يقوِّي بعضُها بعضاً.

الشَّرح:

هذا الحديث مشتملٌ على قاعدة من قواعد الشريعة، وهي رفع الضرر والضرار، وهو خبرٌ بمعنى النهي عن الضرر والضرار، والضَّررُ قد يحصل من الإنسان بقصد أو بغير قصد، والضرار يكون مع القصد، فالنّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهى عن الضرَرَ والضِرَارَ بغير حقٍّ، فأمَّا إدخالُ الضرر على أحد بحقٍّ، إمَّا لكونه تعدَّى حدودَ الله، فيُعاقَب بقدر جريمته، أو كونه ظَلَم نفسَه وغيرَه، فيطلب المظلوم مقابلته بالعدل، فهذا

غيرُ مراد قطعًا، وإنَّما المراد إلحاق الضرر بغير حقٍّ، وهذا على نوعين:

أحدهما: أن لا يكون فِي ذلك غَرضٌ للشخص الذي ألحق الضرر بغيره؛ سوى الضرر بذلك الغير، فهذا لا ريب فِي قُبحه وتحريمه.

النوع الثانِي: أن يضار الناس بما فيه له خاصة، لكن بغير حق وهذا أيضًا لا يجوز؛ لكنّه فِي القبح دون الأوّل.

فالحديث يفيد:

*أنَّ على المسلم ألاَّ يضرَّ غيره ولا يضاره.

*بيان كمال الشريعة وحسنها فِي رفع الضرر والإضرار.

وهذا جاء فِي القرآن كما فِي قوله تعالى: "**مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ**"، وقال تعالى: "**وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا** "، "**وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ**"؛ وفِي الحديث

من "**ضار؛ ضار الله به، ومن شاق؛ شاق الله عليه**". الحديث يدل على تحريم إيصال الضرر إلى الناس بغير حق فِي أبدانِهم أو أعراضهم أو أولادهم أو أموالهم؛ لأنّ المسلم يجب عليه أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه، ويبذل الخير لأخيه ويكف شره عنه ولا يؤذيه. فالإسلام حرص على دفع الضرر، وعدم الاضرار بالغير، فجاء هذا الأصل العظيم "**لا ضرر ولا ضرار**".

ونستفيد من الحديث قاعدة تتفرع عليها عدة قواعد؛ الضرر والضرار يجب رفعهما وعقوبة قاصد الاضرار فهذه القاعدة أصل فِي الحديث، وهناك قواعد كما ذكرت متفرعة ذكرها الفقهاء.

*الضرر يزال.

*الضرر يدفع بقدر الإمكان.

❊الضرر يزال بالضرر الأخف.

❊الضرر لا يزال بمثله، لكن يزال بما دونه.

❊ يحتمل الضرر الخاص فِي مقابل الضرر العام

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الثالث والثلاثون "عـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُـولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَوْ يُعْطَـى النَّـاسُ بِـدعوَاهُـمْ لادَّعَـى رِجَـالٌ أَمْوَال قَومٍ وَدِمَاءهُمْ، وَلَكِنِ البَينَةُ عَلَى المُـدَّعِي، وَاليَمـينُ عَلَـى مَـن أَنكَر" حديث حسن رواه البيهقي هكـذا بعضـه فِـي الصـحيحين".

الشَّرح:

قولـه فِـي الحـديث "لَـوْ يُعْطَـى النَّـاسُ بِـدعوَاهُـمْ" أيْ: بمجـرد دعواهم أنّ لهم حقًّا، والبينة الحجة أو الدليل، والمـدعي هـو

الذي يزعم أن له حق لي اشتكى، والذي اشتكي عليه يسمّى المدعى عليه.

هذا الحديث أصل من أصول الأحكام، وأعظم مرجع عند التنازع والخصام، ويقتضي أن لا يُحكم لأحد بدعواه"، وقد بيَّن النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه أنَّه لو أجيب كلُّ مدَّع على غيره شيئًا لأدَّى ذلك إلى ادِّعاء أموال الناس ودمائهم، لكن النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوضح ما يكون فيه الفصل بين الناس فِي ذلك، وهو طلب البيِّنة من المدَّعي، وهي كلُّ ما يبين الحقَّ ويدلُّ عليه، من شهود أو قرائن أو غيرها، فإذا أتى بالبيِّنة قُضي بها على المدَّعَى عليه، وإن لم توجد البيِّنة طُلب من المدَّعَى عليه اليمين، فإن حلف برئت ساحتُه، وإن نكل عن اليمين قُضي عليه بالنُّكول، وأُلزم بما ادَّعاه عليه خصمُه.

إنَّما كانت البيِّنة على المدَّعي؛ لأنَّه يدَّعي خلاف الظاهر، والأصل "**براءة الذِّمَّة**"، ثمّ ذكر أنَّه يُستثنى مسائل كثيرة يُقبل

فيها قول المدَّعي بلا بيِّنة، منها دعوى الأب حاجته إلى الإعفاف، ودعوى السفيه التَّوَقان إلى النكاح مع القرينة، ودعوى خروج المرأة من العدَّة بالأقراء ووضع الحمل، ودعوى الطفل البلوغ بالاحتلام، ودعوى المودع تلف الوديعة أو ضياعها بسرقة ونحوها، والمدَّعي هو الطالب الذي لو سكت تُرك، والمدَّعَى عليه هو المطلوب الذي لو سكت لم يُترك أجمع أهل العلم على أنَّ البيِّنة على المدَّعي واليمين على المدَّعَى عليه.

قوله: (البيِّنة على المدَّعي) يعني: يستحقُّ بِها ما ادَّعى؛ لأنَّها واجبة عليه يؤخذ بِها، ومعنى قوله: (اليمين على المدَّعَى عليه)، أيْ: يبرأ بِها؛ لأنَّها واجبة عليه، يؤخذ بِها على كلِّ حال."

وكما أنَّ المدَّعي عليه البيِّنة فيما يدَّعيه من الأمور الدنيوية،

فإنَّ على المدَّعي البيِّنة في الأمور الأخرويَّة، فمَن ادَّعى محبَّةَ الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكون صادقًا في دعواه إذا اتَّبع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ}، قال ابن كثير فِي تفسير هذه الآية: "هذه الآية الكريمة حاكمةٌ على كلِّ مَن ادَّعى محبَّة الله وليس هو على الطريقة المحمَّدية، فإنَّه كاذب فِي نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمَّدي والدِّين النبوي فِي جميع أقواله وأفعاله، كما ثبت فِي الصحيح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: "مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"، فالواجب لمدعي محبة الله ومحبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يصدق فِي إتباعه للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإذا كان كذلك؛ فإنّه موعود بمغفرة الذنوب.

وهذا الحديث يدل على:

*أن الشريعة المطهرة اشتملت على حفظ أموال الناس ودمائهم.

* بيان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطرق التي يُفصَل فيها بين المتخاصمين.

* إذا لم يُقرَّ المدَّعى عليه، فإنَّ على المدَّعي إقامة البيِّنة على دعواه.

*إذا لم تُقم البيِّنة حُلِّف المدَّعى عليه وبرئت ساحتُه، وإن لم يحلف قُضي عليه بالنُّكول عن يمينه.

*أنّ الشّرع حمى أموال الناس، ودماء الناس من الادعاءات الكاذبة، بأن جعل البينة على المدعي، واليمين على من أنكر.

*أنّه لا يحكم على أحد بمجرد دعواه وهواءه حتى لا تؤخذ أموال الناس وتسفك دمائهم بغير حق.

*أن البيّنة تشمل الشهود والقرائن واقرار المدعى عليه.

ونأخذ من الحديث قاعدة فِي القضاء "كل دعوة بدون بينة؛ فهي باطلة ساقطة؛ إلا إن أقرّ المدعي عليه".

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الرابع: "عَنْ أَبي سَعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعتُ رِسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: (مَن رَأى مِنكُم مُنكَراً فَليُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَستَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَستَطِعْ فَبِقَلبِه وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ) رواه مسلم".

الشَّرح:

هذا الحديث مشتملٌ على درجات إنكار المنكر، وأنَّ مَن قدر على التغيير باليد تعين عليه ذلك. وهذا يكون من السلطان ونوابه فِي الولايات العامة. ويكون أيضًا من صاحب البيت فِي أهل بيته فِي الولايات الخاصة ورؤية

المنكر يحتمل على التغيير باليد تعيَّن عليه ذلك، وهذا يكون من السلطان ونوابه فِي الولايات العامة، ويكون أيضاً من صاحب البيت فِي أهل بيته فِي الولايات الخاصة، ورؤية المنكر يحتمل أن يكون المراد منها الرؤية البصرية، أو ما يشملها ويشمل الرؤية العلمية، فإذا لم يكن من أهل التغيير باليد، انتقل إلى التغيير باللسان، حيث يكون قادراً عليه، وإلاَّ فقد بقي عليه التغيير بالقلب، وهو أضعفُ الإيمان، وتغيير المنكر بالقلب يكون بكراهة المنكر وحصول الأثر على القلب بسبب ذلك، فإذا قمتم وأنكرت المنكرفهذا هو المطلوب منكم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنّ الله ﷻ أمر المؤمنين بالتعاون على البر والتقوى التعاون على الإثم والعدوان، فجعل الله ﷻ درجات المنكر هذه الدرجات الثلاث التي يكون بِها التغيير.

فالحديث يفيدنا:

❊وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنَّ به صلاح العباد والبلاد.

❊ أن تغيير المنكر يكون على درجات، من قدر على شيء منها تعيَّن عليه ذلك.

❊ التفاوت فِي الإيمان، وأنَّ منه القويّ والضعيف والأضعف.

❊أنّ الحديث شعيرة الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر.

❊أنّ التّكليف عام للأمّة ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[آل عمران: ١٠٤]"، ولا يجب إنكار المنكر إلّا بشرطين: أن يتيقن أنه منكر، وأن يكون منكرًا فِي حقّ الفاعل.

❊أنّ بعض القواعد منها الانكار على حسب الدرجات المذكورة فِي الحديث، وأن الانكار مبني على الظاهر لا على التجسس.

❊أن يكون أمر الإنسان بالمعروف معروفًا، ولا يكن النهي عن المنكر منكرًا.

❊ لا انكار فِي المسائل الاجتهادية، ويخطي من يقول لا انكار فِي المسائل الخلافية؛ بل المسائل الخلافية فيها الانكار لقول الله تعالى: "فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا" [النساء:٥٩]، وإنّما الذي لا انكار فيه هو المسائل الاجتهادية، فهي المسألة التي لا يكون فيها انكار.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الخامس والثلاثون " عَنْ أَبي هُرَيرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ

رَسُـــولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لاَ تَحَاسَـــدوا، وَلاَ تَنَاجَشـــوا، وَلاَ تَبَاغَضوا، وَلاَ تَدَابَروا، وَلاَ يَبِع بَعضُكُم عَلَى بَيعِ بَعضٍ، وَكونوا عِبَادَ اللهِ إِخوَانًا، المُسلِمُ أَخو المُسلم، لاَ يَظلِمهُ، وَلاَ يَخذُلُهُ، وَلا يكْذِبُهُ، وَلايَحْقِرُهُ، التَّقوَى هَاهُنَا - وَيُشيرُ إِلَى صَدرِهِ ثَلاَثَ مَراتٍ - بِحَسْبِ امرىء مِن الشَّرأَن يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسلِمَ، كُلُّ المُسِلمِ عَلَى المُســـلِمِ حَـــرَام دَمُـــهُ وَمَالُـــه وَعِرضُـــه) رواه مســـلم".

الشَّرح:

قوله: "لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضُكم على بيع بعض"، الحسدُ يكون فِي الأمور الدنيوية والأخروية، ويدخل تحته كراهة الحاسد النعمة التي أنعم الله بِها على غيره، ويدخل فيه تَمنِّي زوال هذه النعمة عنه، وسواء تَمنَّى انتقالها إليه أو عدم انتقالها، وأمَّا إذا تَمنَّى مثلَ ما أنعم الله به على غيره دون كراهية حصولها لغيره، ودون تَمنِّي زوالها عنه، فهذا هو الغبطة، وليس بمذموم، والنَّجْشُ:

أن يزيد فِي ثمن السِّلعة عند المناداة عليها، وهو لا يريد شراءها، بل يريد نفع البائع بزيادة الثمن له، أو الإضرار بالمشتري بزيادة الثمن عليه، والتباغض هو تعاطي أسباب البغضاء والإتيان بما يجلبها، والتدابر المقاطعة والتهاجر؛ فلا يحبُّ أن يلقى أخاه، بل يولِّي كلُّ واحد منهم دُبرَه بسبب ما يكون بينهما من تباغض، والبيع على بيع غيره أن يتبايع اثنان سلعة وهما في مدَّة الخيار، فيأتي آخر إلى المشتري فيقول له: اترك هذه السلعة وأنا أبيعك سلعة مثلها أو أحسن منها بثمن أرخص مِمَّا اشتريت به، وهذا العمل يسبِّب التباغض.

قوله: "**وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره، التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرَّات، بحسب امرئ من الشرِّ أن يحقرَ أخاه المسلم**"، بعد نَهيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أمور محرَّمة، فيها التباغض بين

المسلمين وتعاطي أسبابه، أرشد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ما هو مطلوب من المسلمين أن يكونوا عليه، وهو أن يكونوا إخوةً متحابِّين متآلفين، يرفق بعضهم ببعض، ويُحسن بعضُهم إلى بعض، بإيصال النفع إليه ودفع الضرر عنه، وأكَّد ذلك بقوله: "المسلم أخو المسلم"، أيْ: أنَّ مقتضى الأخوة أن يحبَّ لغيره ما يحبُّ لنفسه، ويكره له ما يكره لها، فلا يظلم غيره بأن يعتدي عليه، أو يلحق أيَّ ضرر به، ولا يخذله عند حاجته إلى نصرته وهو قادر على أن ينصره، ولا يحدِّثه بحديث هو كاذب فيه، ولا يحقره بأن يستهين به ويستصغره، ثم بيَّن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبح احتقار المسلم أخاه بقوله: "بحسب امرئ من الشرِّ أن يحقرَ أخاه المسلم"، أيْ: يكفيه من الشرِّ احتقار أخيه لو لم يكن عنده شرٌّ غيره، ووسَّط صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين النهي عن الاحتقار وبيان عظمَ شرِّه.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "التقوى ههنا" مشيراً إلى صدره ثلاث مرَّات، أيْ: إلى القلب؛ لبيان أنَّ العبرة بما يقوم في القلوب من الإيمان والتقوى، وأنَّه قد يكون قلبُ مَن احتُقر معموراً بالتقوى، ويكون قلبُ مَن احتقره وتكبَّر عليه بخلاف ذلك، وأمَّا ما يقوله بعضُ مَن يقع في المعاصي الظاهرة إذا نبِّه على شيء منها أشار إلى صدره، وقال: "التقوى ههنا"، فيُقال له: إنَّ التقوى إذا صارت فِي القلب ظهر أثرُها على الجوارح بالاستقامة وترك المعصية، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ألا إنَّ فِي الجسد مُضغة إذا صلحت صلح الجسد كلُّه وإذا فسدت فسد الجسد كلُّه، ألا وهي القلب"، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إنَّ الله لا ينظر إلى صوَركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" رواه مسلم (٢٥٦٤)، وجاء عن بعض السلف أنَّه قال: "ليس الإيمان بالتمنِّي ولا بالتحلِّي، ولكن ما وقر في القلوب وصدَّقته الأعمال."

قولـه: "كـلُّ المسـلم علـى المسـلم حـرام: دمـه ومالـه وعرضـه"، يحرم الاعتداء على النفس بالقتل أو ما دونه، والاعتداء على المال بالسرقة والغصب وغير ذلك، والاعتداء على العِرض بالسبِّ والشتم والغيبة والنميمة وغير ذلك، وقد أكَّد النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحـريم هـذه الثلاثـة فِـي حجَّـة الـوداع، قارنـاً حرمتهـا بحرمـة الزمـان والمكـان، حيـث قـال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إنَّ دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، فِي بلدكم هذا."

يفيدنا الحديث:

*تحـريم التحاسـد والتنـاجش والبيـع علـى بيـع أخيـه، وكـذا الشراء على شرائه، وكذا كلُّ ما يجلب العداوة والبغضاء بين المسلمين.

* النهي عن تعاطي أسباب البغضاء، وكذا كلُّ ما يترتَّب على ذلك من تقاطع وتَهاجر بين المسلمين.

❊ حثُّ المسلمين جميعًا على أن يكونوا إخوةً متحابِّين متآلفين متحابين متراحمين:

❊ أنَّ الأخوَّةَ بين المسلمين تقتضي إيصالَ الخير إليهم ودفع الضرر عنهم.

❊ أنَّه يحرم على المسلم لأخيه ظلمه وخذلانه واحتقاره والكذب عليه.

❊بيان خطورة احتقار المسلم لأخيه، وأنَّ ذلك كافٍ للمحتقِر من الشرِّ، وإن لم يكن عنده شرٌّ سواه.

❊أن الميزان فِي التفاضل بين الناس؛ هو التقوى كما قال تعالى: "ان اكرمكم عند الله اتقاكم".

❊ أن التقوى محلها القلب كما فِي الحديث، وأشار النبي ﷺ إلى صدره وقال: "التقوى ها هنا".

*أنّ التقوى فِي القلوب، وتظهر آثارها على الجوارح، وبصلاح القلوب يصلح بقية الجسد.

*يحرم على المسلم أن يعتدي على المسلمين فِي دمائهم وأموالهم وأعراضهم، وهذا هو مقتضى الأخوة التي بين المسلمين.

نأخذ من الحديث قاعدة فِي الأخوة؛ أن الأخوة مبنية على المتطلبات، وهي روابط الأخوة لا ادعاءات أيْ: قاعدة فِي أن الأصل فِي دم المسلم وعرضه وماله؛ الحرمة، وكذلك قاعدة قلبية اتقاء القلب يثمر اتقاء الجوارح أيْ: إذا صلح قلبه صلح الجسد، فالأخوة مبنية على الترابط وعلى التراحم وعلى تصديق ذلك لا على مجرد الادعاء .

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث السادس والثلاثون " عَنْ أَبي هُرَيرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤمِن كُربَةً مِن كُرَبِ الدُّنيَا نَفَّسَ اللهُ عَنهُ كُربَةً مِنْ كرَبِ يَوم القيامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ على مُعسرٍ يَسَّرَ الله عَلَيهِ فِي الدُّنيَا والآخِرَة، وَمَنْ سَترَ مُسلِمًا سَترَهُ الله فِي الدُّنيَا وَالآخِرَة، وَاللهُ فِي عَونِ العَبدِ مَا كَانَ العَبدُ فِي عَونِ أخيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلتَمِسُ فيهِ عِلمًا سَهَّلَ اللهُ لهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا اجتَمَعَ قَومٌ فِي بَيتٍ مِنْ بيوتِ اللهِ يَتلونَ كِتابِ اللهِ وَيتَدارَسونهَ بَينَهُم إِلا نَزَلَت عَلَيهُم السَّكينَة وَغَشيَتهم الرَّحمَة وحَفَتهُمُ المَلائِكة وَذَكَرهُم اللهُ فيمَن عِندَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ (رواه مسلم بهذا اللفظ)".

الشَّرح:

قوله: "مَن نَفَّس عن مؤمن كُربةً مِن كُرَب الدنيا نَفَّس اللهُ عنه كُربةً من كُرَبِ يوم القيامة"، الكُربةُ هي الشدَّة والضيق، وتنفيسها إزالتُها، والجزاء على تنفيس كربة في الدنيا أن ينفَّس عنه كُربة من كُرب يوم القيامة، والجزاءُ من جنس العمل، ولا شكَّ أنَّ

الجزاءَ فيه أعظم؛ لشدَّة كُرَب يوم القيامة وعظم الفائدة للمكروب فِي تنفيسها.

قوله: "ومَن يَسَّر على مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عليه في الدنيا والآخرة"، وهذا أيضًا الجزاءُ فيه من جنس العمل، والعمل هو التيسير على المُعسر، وذلك بإعانته على إزالة عُسرته، فإن كان مَدينًا ساعده بإعطائه ما يقضي به دينه، وإن كان الدَّين له أنظره إن لم يُبْرئه منه، والإبراء خيرٌ من الإنظار؛ لقول الله ﷻ: {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}

قوله: "ومَن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة"، وهذا أيضًا العمل فيه ستر فِي الدنيا، والجزاء عليه سترٌ في الدنيا والآخرة، والسترُ هو إخفاء العيب وعدم إظهاره، فمَن كان معروفًا بالاستقامة وحصل منه الوقوع في المعصية نوصِحَ وسُتر عليه، ومَن كان معروفًا بالفساد والإجرام، فإنَّ الستر

عليه قد يهوِّن عليه إجرامه، فيستمر عليه ويتمادى فيه، فالمصلحةُ فِي مثل هذا عدم الستر عليه؛ ليحصل له العقوبة التي تزجره عن العَوْد إلى إجرامه وعدوانه.

قوله: "**والله فِي عون العبد ما كان العبدُ فِي عون أخيه**"، هذا فيه الحثُّ على إعانة المسلم أخاه المسلم، وأنَّه كلَّما حصل منه العون لإخوانه فإنَّه يحصِّل بذلك عون الله وتسديده، وهي كلمة جامعة من جوامع كلم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: "**ومَن سلك طريقًا يلتمسُ فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنَّة**"، فيه الحثُّ على طلب العلم الشرعيِّ وسلوك الطرق الموصلة إلى تحصيله، سواء كان ذلك بالسفر لطلبه؛ أو بالأخذ بأسباب تحصيله، من اقتناء الكتب المفيدة وقراءتها والاستفادة منها، وملازمة العلماء والأخذ عنهم وغير ذلك، والجزاء على ذلك من الله تسهيل الطريق التي يصل بها طالب العلم إلى الجنَّة، وذلك يكون بإعانته على

تحصيل ما قصد، فيكون بذلك محصِّلاً للعلم، ويكون أيضاً بإعانته على العمل بما علمه من أحكام الدين.

قوله: "**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلاَّ نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرَّحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمَن عنده**"، بيوتُ الله هي المساجد، وإضافتها إلى الله إضافة تشريف، والمساجد هي أحبُّ البلاد إلى الله؛ لقوله ﷺ: "**أحبُّ البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها**" رواه مسلم (٦٧١)، وفيه الحثُّ على الاجتماع في المساجد لتلاوة القرآن وتدارسه، ويكون ذلك بقراءة أحد المجتمعين والباقون يسمعون، وبقراءتهم بالتناوب ليقوِّم بعضُهم بعضاً في القراءة، ويستفيد كلُّ واحد منهم من غيره ما يحصِّل به إجادة القراءة وتدارك الخطأ إن وُجد، وإذا كان فيهم عالم بتفسيره علَّمهم، وإن كانوا من أهل العلم فيه تدارسوا معانيه، ورجعوا في ذلك إلى

كتب التفسير في الرواية والدراية المبنية على ما كان عليه سلف هذه الأمَّة، والجزاء على الاجتماع في المساجد لتلاوة القرآن وتدارسه أربعة أمور، هي: نزول السكينة عليهم والطمأنينة، وأنَّ الرحمةَ تغشاهم، أي تشملهم وتغطِّيهم، وأنَّ الملائكة تحفُّهم أيْ: تحيط بِهم، وأنَّ الله تعالى يذكرهم عند الملائكة.

قوله: "ومَن بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه"، المعنى: مَن أخَّره عملُه عن دخول الجنَّة لم يسرع به نسبه إلى دخول الجنَّة؛ لأنَّ المعتبَر في ذلك الإيمان والتقوى، معناه أنَّ العملَ هو الذي يبلغ بالعبد درجات الآخرة، فمَن أبطأ به عمله أن يبلغ به المنازل العالية عند الله تعالى لم يسرع به نسبه فيبلغه تلك الدرجات؛ فإنَّ الله رتَّب الجزاءَ على الأعمال لا على الأنساب.

يفيدنا الحديث:

*الترغيب في تنفيس الكرب في الدنيا، وأنَّ الله تعالى ينفِّس بِها كرب يوم القيامة.

*أنَّ الجزاء من جنس العمل، فالعمل تنفيس كربة، والجزاء تنفيس كربة.

*الترغيب في التيسير على المعسرين، وأنَّ الجزاء عليه تيسير فِي الدنيا والآخرة.

*الترغيب في ستر العيوب حين تكون المصلحة في سترها، وأنَّ الجزاء عليها ستر فِي الدنيا والآخرة.

*الحثُّ على إعانة المسلم أخاه المسلم، وأنَّه كلَّما حصل منه العون لإخوانه فإنَّه يحصِّل بذلك عون الله وتسديده.

*بيان فضل طلب العلم الشرعي.

*فضل الاجتماع فِي المساجد لتلاوة القرآن وتدارسه من أعظم الأعمال وأجل القربات.

*أنَّ الإيمانَ والعمل الصالح سبب دخول الجنَّة وبلوغ الدرجات العالية عند الله ﷻ.

*أنَّ شرف النَّسب بدون عمل صالح لا يفيد صاحبَه عند الله.

ونأخذ من الحديث قاعدة فِي الثواب والجزاء؛ أن الجزاء من جنس العمل، وقاعدة فِي التفاضل الحقيقي؛ أنّ التفاضل بعد الإيمان إنّما هو بالأعمال لا بالأنساب والأحساب وإن كانت الأعمال من الإيمان.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث السابع والثلاثون "عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيْمَا يَرْوِيْهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالى أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ الله كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ؛ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَاف كَثِيْرَةٍ. وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ

سَـيِّئَةً وَاحِـدَةً) رَوَاهُ البُخَـارِيُّ وَمُسْـلِمٌ فِـي صَـحِيْحَيهِمَا بِهَـذِهِ الحُـــرُوْفِ".

الشَّرح:

قوله: "إنَّ الله كتب الحسنات والسيِّئات، ثم بيَّن ذلك ... " إلخ، يُحتمل أن يكون المراد بالكتابة تقدير الله ﷻ للأعمال والجزاء عليها على هذا التفصيل، ويُحتمل أن يُراد به كتابة الملائكة للحسنات والسيِّئات بأمر الله ﷻ، ويدلُّ لهذا ما جاء فِي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي كتاب التوحيد من صحيح البخاري: "إذا أراد عبدي أن يعمل سيِّئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة"، ولا تنافِي بين الكتابَتين؛ فإنَّ كلاًّ منهما حاصل.

قوله: "فمَن هَمَّ بحسنة فلَم يعملها كتبها الله عنده حسنةً كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة"، أكَّد كتابة الحسنة إذا همَّ بِها ولم يعملها بأنَّها كاملة؛ لئلاَّ يُتوهَّم نقصانها؛ لأنَّها في الهمِّ لا فِي العمل، وبيَّن أنَّ المضاعفة فِي الفعل إلى عشرة أضعاف، وإلى ما هو أكثر من ذلك، وذلك من فضل الله ﷻ وإحسانه إلى عباده، وفيه مضاعفة الجزاء على العمل، دون الجزاء على الهمِّ، وهو واضح، وأمَّا حديث: "نيَّةُ المؤمن خيرٌ من عمله" فهو ضعيف، ذكر ذلك الحافظ في الفتح (٤/ ٢١٩)، وانظر السلسلة الضعيفة للألباني ٢٧٨٩ .

قوله: "وإن همَّ بسيِّئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيِّئة واحدة"، وُصفت الحسنةُ على ترك المعصية المهموم بِها بأنَّها كاملة؛ لئلاَّ يُتوهَّم نقصانها، ووُصفت السيِّئة المعمولة بواحدة؛ لئلاَّ يُتوهَّم زيادتُها، وهذا

من فضل الله وعدله، والثواب على ترك السيِّئة التي همَّ بِها يحصل إذا كان تركها من أجل الله، أمَّا إذا كان حريصًا على فعل السيِّئة وقلبه متعلِّق بِها، وهو مُصمِّم على فعلها لو قدر على ذلك، فهو مؤاخَذٌ على ذلك.

واعلم أنَّ تاركَ السيِّئة الذي لا يعملها على ثلاثة أقسام: تارة يتركها لله، فهذا تُكتب له حسنة على كفِّه عنها لله تعالى، وهذا عمل ونيَّة، ولهذا جاء أنَّه يُكتب له حسنة، كما جاء فِي بعض ألفاظ الصحيح: "فإنَّه تركها من جرائي"، أيْ: من أجلي، وتارة يتركها نسيانًا وذهولاً عنها، فهذا لا له ولا عليه؛ لأنَّه لم يَنْوِ خيراً ولا فَعَلَ شرًّا، وتارة يتركها عَجزاً وكسلاً عنها بعد السعي فِي أسبابِها والتلبُّس بما يقرب منها، فهذا بمنزلة فاعلها، كما جاء فِي الحديث الصحيح عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: "إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل

والمقتول فِي النار، قالوا: يا رسول الله! هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: إنَّه كان حريصًا على قتل صاحبه."

يفيدنا الحديث:

*إثبات كتابة الحسنات والسيِّئات.

*أنَّ من فضل الله ﷻ مضاعفة ثواب الحسنات.

*من عدل الله ﷻ ألاَّ يُزاد فِي السيِّئات.

*أنَّ الله يُثيب على الهمِّ بالحسنة إذا لم يعملها بكتابتها حسنة كاملة.

*أنَّ مَن همَّ بسيِّئة وتركها من أجل الله يكتب له بتركها حسنة كاملة.

*الترغيب فِي فعل الحسنات والترهيب من فعل السيِّئات.

ونأخذ من الحديث أيضًا رحمة الله ﷻ بعباده بمضاعفة الحسنات وحسن تعليم النبي ﷺ حيث ذكر

الاجمال ثمّ التّفصيل إنّ الله كتب الحسنات والسيئات ثم فصل ذلك.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الثامن والثلاثون "

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث السادس والثلاثون " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ. وَمَا تَقَرَّبَ إِلِيَّ عَبْدِيْ بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلِيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ. ولايَزَالُ عَبْدِيْ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِيْ يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِيْ يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِيْ بِهَا. وَلَئِنْ سَأَلَنِيْ لأُعطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِيْ لأُعِيْذَنَّهُ) رواه البخاري".

الشَّرح:

قوله: "من عادى لي وليًّا فقد آذنتُه بالحرب"، هذا الحديث من الأحاديث القدسية التي يرويها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربِّه، معنى "آذنتُه بالحرب" أعلمته أنَّني محاربٌ له، وهو يدلُّ على خطورة معاداة أولياء الله، وأنَّه من الكبائر.

قوله: "وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مِمَّا افترضت عليه" فِي هذه الجملة وما بعدها بيان أنَّ ولاية الله إنَّما تحصل بالتقرُّب إليه بأداء الفرائض، والإتيان مع ذلك بالنوافل، وهو يدلُّ على أنَّ التقرُّبَ بأداء الفرائض أحبُّ إلى الله من النوافل؛ لأنَّ في ذلك فعل ما أوجب الله وترك ما حرَّم الله، والآتي بالواجبات التارك للمحرَّمات هو المقتصد، ومَن أتى بِها وأتى بالنوافل معها فهو السابق بالخيرات.

قوله: "ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه" إلخ، النوافل هي الإتيان بالأعمال الصالحة زيادة على الفرائض، وفعلها مع الاستمرار عليها يجلب محبَّة الله عَزَّ وَجَلَّ، وإذا

حصلت له المحبَّة ظفر بتسديد الله فِي تصرفاته، فلا يسمع إلاَّ ما هو حق، ولا يرى إلاَّ ما هو حق، ولا ينال إلاَّ ما هو حق، ولا يَمشي إلاَّ إلى ما هو حق، وأكرمه الله بإجابة دعوته إذا دعاه، وإعاذته مِمَّا استعاذه منه.

يفيدنا الحديث:

*بيان فضل أولياء الله، وشدَّة خطر معاداتهم.

*أنَّ ولايةَ الله ﷻ تحصل بأداء الفرائض وفعل النوافل.

*أنَّ أحبَّ ما يُتقرَّب إلى الله ﷻ به أداء الفرائض.

* إثبات صفة المحبَّة لله ﷻ .

*تفاوت الأعمال في محبَّة الله إيَّاها.

*أنَّ فعل النوافل بعد أداء الفرائض يجلب محبَّة الله ﷻ .

*أنَّ من ظفر بمحبَّة الله ﷻ سدَّده في سمعه وبصره وبطشه ومشيه.

*أنَّ محبَّة الله ﷻ تجلب للعبد إجابة دعائه وإعاذته مِمَّا يخاف.

*أنَّ ثوابَ الله ﷻ للعبد يكون بإجابة مطلوبه والسلامة من مرهوبه.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث التّاسع والثلاثون "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: (إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ) حديث حسن رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما".

الشَّرح:

المقصود بالأمة أمَّةُ نبيِّنا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأمّة أمَّتان: أمَّة دعوة وأمَّة إجابة، فأمَّة الدعوة هم كلُّ إنسيٍّ وجنيٍّ من

حين بعثته إلى قيام الساعة، وأمَّة الإجابة هم الذين وفَّقهم الله للدخول في دينه الحنيف وصاروا من المسلمين، والمراد من الأمَّة في هذا الحديث أمَّة الإجابة، ومن أمثلة أمَّة الدعوة قوله صلى الله عليه وسلم: "**والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يَموت ولم يؤمن بالذي أُرسلتُ به إلاَّ كان من أصحاب النار**" رواه مسلم (١٥٣).

والخطأ: فعل الشيء من غير قصد، والنسيان: أن يكون ذاكراً لشيء فينساه عند الفعل، والإكراه: الإلجاء على قول أو فعل، والإثم مرفوع فِي هذه الثلاثة؛ وقد جاءت الأدلة من كتاب الله ﷻ على رفع ذلك، قال الله ﷻ: {**رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**} ، قال الله: "قد فعلت" أخرجه مسلم (١٢٦)، والمقصود بِهذا الخطأ أنّ الإنسان لا يأثم، وأمَّا ما أتلفه لغيره فهو مضمون، كالقتل خطأ تجب فيه الدية مع الكفارة، وإذا

أُكره على الزنا أو قَتْل معصوم فلا يجوز له ذلك؛ فلا يستبقي حياته بقتل غيره.

يفيدنا الحديث:

*بيان سعة رحمة الله وفضله وإحسانه إلى عباده؛ حيث رفع عنهم الإثم فِي هذه الثلاثة.

*رفع المؤاخذة على الخطأ، فإن كان الخطأ فِي ترك واجب فَعَلَه، وإن كان فِي إتلاف حقٍّ لغيره ضمن هذا الحق. الحديث فِي بيان لسعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى ولطفه بعباده حيث عفى عنهم حينما يصدر منهم الإثم، وعفى عنهم حينما يصدر منهم الخطأ والنسيان والإكراه.

*أن هذا التجاوز كما ذكرنا خاص بِهذه الأمة أيْ: بأمة الإجابة.

*أن الدّين جاء برفع الحرج، ومن رفع الحرج؛ رفع الإثم، وممن لم يقصده من الخلق خطأ أو نسيانًا أو إكراهًا.

وفِي الحديث قاعدة فِي إثبات الإثم وهي؛ "كل محرم فعل جاهلًا أو ناسيًا أو مكرهًا فلا إثم عليه".

قالَ المُصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الأربعون "عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمنْكبيَّ فَقَالَ: (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيْبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيْلٍ) وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يَقُوْلُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ. وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لمَوْتِكَ..رواه البخاري".

الشرح:

في أخذ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمنكب عبد الله بن عمر تنبيه

وحثٌّ له على وعي ما يُلقى عليه فِي هذه الحال، وإخبار عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بذلك يدلُّ على ضبطه وإتقانه ما سمعه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنَّ فيه تذكُّر الحالة التي حصلت عند سماعه هذا الحديث من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: "كن فِي الدنيا كأنَّك غريب أو عابر سبيل"، الغريب هو المقيم فِي غير بلده لقضاء حاجة، يستعدُّ لمغادرة ذلك البلد متى تَمكَّن من ذلك، وعابر السبيل هو المسافر الذي يَمرُّ بالبلاد مروراً دون إقامة بِها حتى ينتهي من سفره، ودار الغربة وعبور السبيل في هذا الحديث هي الدنيا، والسير فيها للآخرة، وذلك إنَّما يكون بتذكُّر الموت وقصر الأمل والاستعداد فيها للآخرة بالأعمال الصالحة،وقد أوضح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل هذه الحياة الدنيا وانتهائها؛ وأنّها

ليست بقرار، كما جاء فِي حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: "ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكلٍّ واحدة منهما بَنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإنَّ اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل"، وقد أوضح النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل هذه الحياة الدنيا وانتهائها، وأنَّها ليست بدار قرار بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلاَّ كراكب استظلَّ تحت شجرة ثم راح وتركها" رواه الترمذي (٢٣٧٧) وغيره، وقال: "حديث حسن صحيح.

قوله: "وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء"، فيه مبادرة أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى تنفيذ وصايا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيه فضل عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فإنَّه مع تنفيذه ما وصَّاه به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرشد غيرَه إلى

تنفيذ ذلك، والمعنى أنَّ المسلمَ يكون مترقِّبًا الموت، فهو يستعدُّ له بالعمل الصالح دون كسل أو تأخير، ويعمل الصالحات فِي نَهاره كأنَّه لا يُدرك المساء، وفِي ليله كأنَّه لا يدرك الصباح، وفِي ترجمة منصور بن زاذان فِي تَهذيب الكمال: قال هُشيم بن بَشير الواسطي: "لو قيل لمنصور بن زاذان: إنَّ ملَك الموت على الباب ما كان عنده زيادة في العمل."يعني: هذا دليل على أنه اجتهد غاية الاجتهاد، وغاية ما يمكنه من العمل بحيث لا يزيد عليه شيئًا.

قوله: "وخذ من صحَّتك لمرضك، ومن حياتك لموتك"، المعنى أنَّ المسلمَ يُبادر إلى الأعمال الصالحة، حيث يكون متمكِّنا منها، وذلكي حال صحَّته قبل أن يأتيه ما يعوقه من ذلك كالمرض والكبر، وأن يعمُر حياتَه بالأعمال الصالحة قبل أن يفجأه الموت، فينتقل من دار العمل إلى دار الجزاء.

يفيدنا الحديث:

*الحثُّ على استشعار الغربة فِي هذه الحياة؛ ليستعدَّ فيها بالأعمال الصالحة.

*فعل المعلِّم ما يلفت نظر المتعلِّم إلى وعي ما يلقى عليه؛ لقول عبد الله بن عمر: "أخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمنكبي."

*مبادرة الصحابة إلى تنفيذ وصايا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

* فضل عبد الله بن عمر بأخذه بوصية النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحث غيره عليها.

* الحثُّ على المبادرة إلى الأعمال الصالحة دون كسل أو تأخير، وهذا حال الصحابة رضوان الله عليهم فإنّهم أسرع الناس إلى فعل الطاعات، والبعد عن المعاصي والذنوب،

والمبادرة إلى العمل الصالح للوقت الذي يكون الإنسان فيه مستعدًا لآخرته بكثرة العمل الصالح.

فنأخذ من الحديث قاعدة فِي الاستغلال؛ فالاستغلال يكون للبقاء لا للفناء، فالآخرة هي الباقية، والدنيا هي الفانية، فإذا أردت أن تستغل شيء فاستغل أمور الآخرة فهي التي تبقى، وأمّا أمور الدّنيا فازهد بِها فإنّها تفنى.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الحادي والأربعون " عَنْ أَبِيْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ بِنِ عمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَواهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ) حَدِيْثٌ حَسَنٌ صَحِيْحٌ ".

الشَّرح:

الحديث صحَّحه النووي وعزاه إلى كتاب الحجة، قال ابن رجب فِي جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٩٣) : "يريد بصاحب كتاب الحجة الشيخ أبا الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي الفقيه الزاهد نزيل مشق، وكتابه هذا هو كتاب الحجة على تاركي المحجة، يتضمَّن ذكر أصول الدين على قواعد أهل الحديث والسنة، وقد خرَّج هذا الحديث الحافظ أبو نعيم في كتاب الأربعين وشرط في أولها أن تكون من صحاح الأخبار وجياد الآثار مِمَّا أجمع الناقلون على عدالة ناقليه، وخرَّجته الأئمة في مسانيدهم"، ثم إنَّ الحافظ ابن رجب ضعَّفه، وبيَّن وجوه تضعيفه، وأمَّا الحافظ ابن حجر فقد أشار فِي الفتح (١٣/ ٢٨٩) إلى ثبوته، وجعله من حديث أبي هريرة، فقال: "وأخرج البيهقي في المدخل وابن عبد البر في بيان العلم عن جماعة من التابعين، كالحسن

وابن سيرين وشُريح والشعبي والنخعي بأسانيد جياد ذمّ القول بالرأي المجرَّد، ويجمع ذلك كلَّه حديثُ أبي هريرة "لا يؤمن أحدُكم حتى يكون هواه تَبَعًا لِمَا جئتُ به"، أخرجه الحسن بن سفيان وغيرُه، ورجاله ثقات، وقد صححه النووي في آخر الأربعين."

نفيُ الإيمان في الحديث نفيٌ للكمال الواجب، قال النووي في شرح الأربعين: "أيْ: أنَّ الشخصَ يجب عليه أن يعرضَ عملَه على الكتاب والسنة، ويخالف هواه ويتبع ما جاء به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا نظير قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} فليس لأحد مع الله ﷻ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر ولا هوى". قال ابن رجب فِي جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٩٨ ٣٩٩) : "والمعروف فِي استعمال الهوى عند الإطلاق أنَّه الميل إلى خلاف الحق"،

وقد يطلق الهوى بمعنى المحبَّة والميل مطلقـًا، فيدخل فيه الميلُ إلى الحقِّ وغيره، وربَّما استعمل بمعنى مَحبة الحقِّ خاصة والانقياد إليه، وسُئل صفوان بن عسّال: هل سمعتَ من النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر الهوى؟ فقال: سأله أعرابيٌّ عن الرجل يُحب القومَ ولم يلحق بِهم؟ فقال: "المرء مع من أحبَّ"، وقال عمر فِي قصة المشاورة فِي أسارى بدر: "فهوي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما قال أبو بكر، ولَم يهو ما قلتُ" وهذا الحديث مِمَّا جاء استعمال الهوى فيه بمعنى المحبة المحمودة".

يفيدنا الحديث:

*وجوب اتِّباع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما جاء به.

*تفاوت الناس فِي الإيمان.

*التحذير من البدع، فالله ﷻ يقول: "فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا"، ويقول: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} والنبي ﷺ يقول: "من عمل عملًا ليس عليه امرنا فهو رد"، والله يقول: "قد كان لكم فِي رسول الله إسوة حسنة" الحديث فيه التحذير من تقديم الهوى على الشريعة، وإن من أكثر الناس إيمانًا من نفسه وهواه حتى يكون وفق الشريعة، فالهوى قسمان محمود ومذموم. الهوى المحمود الّذي يكون للشريعة موافقًا للشريعة، وأمّا الهوى المذموم فهو ما خالف الشريعة.

وأيضًا يفيد الحديث وجوب تحكيم الشريعة.

ونأخذ قاعدة فِي اتباع الهوى، فكل من علا على هواه

وعقله فقد نجا، والعكس بالعكس إذا على عقل الإنسان فقد غوى.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الثانِي والأربعون " عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: (يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِيْ وَرَجَوتَنِيْ غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلا أُبَالِيْ، يَا ابْنَ آدَمَ لَو بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ استَغْفَرْتَنِيْ غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَو أَتَيْتَنِيْ بِقِرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيْتَنِيْ لاَ تُشْرِكُ بِيْ شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغفِرَةً) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيْثٌ حَسَنٌ صَحِيْحٌ".

الشَّرح:

هذا الحديث هو آخر الأحاديث التي أوردها النووي رحمه الله فِي كتابه الأربعين، وقد زادت على الأربعين حديثين،

فيكون إطلاق الأربعين عليها من تغليب اللفظ وحذف الكسر الزائد فِي العدد، وهو من الأحاديث القدسية التي يرويها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربِّه تبارك وتعال، والخطابُ فِي الحديث لبني آدم، وهو مشتملٌ على أنَّ من أسباب مغفرة الذنوب دعاء الله ورجاءه مغفرةَ الذنوب والاستغفار منها والإخلاص لله والسلامة من الشرك، ومعنى مغفرة الذنوب سترها عن الخلق والتجاوز عنها، فلا يُعاقب عليها.

قوله "**يا ابن آدم! إنَّك ما دعوتَني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي**"، دعاء العبد ربّه مغفرة ذنوبه، ورجاؤه ذلك منه دون يأس، مع التوبة من الذنوب يحصل به من الله المغفرة ولو عظُمت الذنوب وكثرت وتكرَّرت، ولهذا قال:" **على ما كان منك ولا أبالي**"، ونظير هذا قول الله :عَزَّ وَجَلَّ "**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**".

قوله "**يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبُك عَنان السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك**"، لو كثرت ذنوب العبد حتى بلغت عَنان السماء، **أيْ**: بلغت السماء أو ما دون ذلك كالسحاب أو ما يبلغه بصر الناظر إلى فوق، ثم حصل من العبد الاستغفار مع التوبة من جميع الذنوب، فإنَّ الله تعالى يغفر تلك الذنوب ويتجاوز عنها، والتوبة تكون بالإقلاع من الذنب، والندم على ما فات، والعزيمة فِي المستقبل على ألاَّ يعود إليه، ومع هذه الثلاثة، فإن كان الذنب في حقِّ الله ﷻ وفيه كفَّارة، أتى بالكفارة، وإن كان فِي حق للآدميِّين، أدَّى حقوقهم إليهم أو تحلَّلهم منها.

قوله: "**يا ابن آدم! إنَّك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتُك بقُرابها مغفرة**"، الشركُ بالله ﷻ هو الذنب الذي لا يغفره الله، وكلُّ ذنب دون الشرك فهو تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عن صاحبه ولم يعذبه، وإن شاء

عذَّبه وأدخله النار، ولكنه لا يُخلَّد فيها خلود الكفار، بل لا بدَّ أن يخرج منها ويدخل الجنَّة، كما قال الله ﷻ: {إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}، وفِي هذا الحديث بيان أنَّ الذنوبَ ولو بلغت في الكثرة ما بلغت، فإنَّ الله يتجاوز عنها، بشرط كون العبد مخلصاً عبادته لله، سليماً من الإشراك به.

يفيدنا الحديث:

*سعة فضل الله ﷻ ومغفرة ذنوب عباده.

*من أسباب مغفرة الذنوب دعاء الله ورجاؤه من غير يأس.

*فضل الاستغفار مع التوبة، وأنَّ الله يغفر للمستغفر ذنوبه ولو بلغت فِي الكثرة ما بلغت.

*أنَّ الشركَ بالله هو الذنب الذي لا يُغفر، وأنَّ ما سواه تحت

مشيئة الله.

*فضل الإخلاص، وأنَّ الله يُكفِّر به الذنوب.

إذا حصلت التّوبة فإنّ الله يغفر الذنوب جميعًا مهما حصلت كما قال تعالى: "وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا" (٧١-الفرقان).

ونأخذ من الحديث قاعدة؛ أنّ علامة حضور القلب فِي الدّعاء أن يرجو اللهﷻ، وأن يخاف من ذنوبه، ويطمع بما عند الله ﷻ ويستشعر هذا الشيء، أمّا إن لم يكن له هذا الاستشعار فدعاؤه يكون دعاء شخص غافلٍ.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الثالث والأربعون " عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "ألحقوا الفرائض بأهلها، فما أبقت الفرائض فلأولى رجل ذكَر" خرَّجه البخاري ومسلم".

الشَّرح:

هذا الحديث هو أوَّلُ الأحاديث الثمانية التي زادها الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى، فأكمل العدة خمسين على ما جمعه الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى فِي الأحاديث الأربعين، ويُلاحظ أنَّ الحافظ ابن رجب عند ذكر الذين رووا الأحاديث من الأئمة يُعبّر بـ "خرَّجه"، ويُعبِّر أيضًا بـ "رواه"، وأمَّا النووي فكان تعبيره بـ "رواه"، ولا فرق بين التعبيرين؛ لأنَّ معناهما واحد.

هذا الحديث أصلٌ فِي قسمة المواريث، والمراد بالفرائض

الفرائض المقدَّرة فِي كتاب الله، وهي ستة، وهي: الثلثان، والثلث، والسدس، والنصف، والربع، والثمن، ويُقال فيها اختصاراً: الثلثان، والنصف، ونصفهما، ونصف نصفهما، أو يُقال: الثمن، والسدس، وضعفهما، وضعف ضعفهما، أو يُقال: الثلث، والربع، وضعف كلٍّ، ونصفه، والمراد الفروض المقدَّرة وما جاء معها في القرآن من الإرث بغير تقدير، في حال اجتماع الأولاد والإخوة لغير أم، ففي حال اجتماع الأولاد إذا كانوا ذكوراً وإناثاً فللذَّكَر مثل حظِّ الأنثيين، وإن كانوا إناثاً لا ذكور معهنَّ، فللثنتين فأكثر الثلثان، وللبنت الواحدة النصف، هذا إذا كنَّ في درجة واحدة، كالبنات وبنات الأبناء، فإن كنَّ في درجتين وكان البنات ثنتين فأكثر لم يكن لبنات الابن شيء؛ لاستيعاب البنات الثلثين، وإن كانت البنت واحدة فلها النصف، ولابنة الابن أو بناته السدس تكملة الثلثين؛ لثبوت السنة في ذلك عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، رواه البخاري (٦٧٣٦) ، أمَّا إذا كان

الأولاد ذكوراً خُلَّصاً، سواء كانوا أبناء أو أبناء بنين عند فقد الأبناء، فإنَّ الواحدَ منهم يحوز الميراث كلَّه، والجمع يقتسمونه بينهم بالسوية، ويُقال أيضاً في ميراث الإخوة الأشقاء والإخوة لأب ما قيل في ميراث الأولاد من تقديم الإخوة الأشقَّاء على الإخوة لأب، فيقتسم الذكور الخُلَّص الميراث بالسوية، فإن كانوا ذكوراً وإناثاً فللذَّكر مثل حظِّ الأنثيين، والواحدة منهنَّ لها النصف، والاثنتان فأكثر لهما الثلثان، ويكون ميراث الإخوة لأب مثل ميراث الإخوة الأشقاء عند فقدهم، وإذا وُجد أخت شقيقة أخذت النصف، وللأخوات لأب معها السدس تكملة الثلثين، سواء كنَّ واحدة أو أكثر، وأمَّا الأبوان فلكلِّ واحد منهما السدس إذا كان للميت ولد، وإن كان الولد إناثاً فإنَّ الأبَ يأخذ الباقي تعصيباً، وإذا لم يكن للميت ولد فإنَّ الأمَّ تأخذ الثلث، والباقي للأب، إلاَّ أنَّه في هذه الحالة إذا كان مع الأبوين أحد الزوجين فإنَّ الأمَّ تأخذ ثلث ما يبقى بعد فرض

أحد الزوجين، ويُقال لهاتين المسألتين العُمريتان؛ لقضاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بذلك.

يتبيَّن أنَّ الأبناءَ وأبناءَ الأبناء وإن نزلوا إذا كان معهم إناث اشتركوا فِي الميراث: للذَّكر مثل حظِّ الأنثيين، وكذلك الإخوة الأشقاء والإخوة لأب تشترك معهم أخواتِهم: للذَّكر مثل حظِّ الأنثيين، وأمَّا أبناء الإخوة لأم فليس لهم نصيب في الميراث، وأمَّا أبناء الإخوة الأشقاء والإخوة لأب وكذلك الأعمام وإن علوا أو أبناء الأعمام وإن نزلوا، فإنَّ ذكورَهم يستقلُّون بالميراث عن أخواتهم؛ لأنَّ الإناث منهم لا يُفرض لهنَّ عند الانفراد، فكذلك لا ميراث لهنَّ عند الاجتماع، ويختصُّ الذكور منهم بالميراث؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ألحقوا الفرائض بأهلها، فما أبقت الفرائض فلأولى رجل ذكر".

فائدة ذِكر الذَّكر بعد الرجل في قوله: "فلأولى رجل ذكر" أنَّ

الرَّجل هو الذي يكون كبيراً وفيه نجدة وقوة، فأضيف إليه لفظ"ذكر" لبيان أنَّ الميراث منوطٌ بالذكورة لا بالرجولة والقوة، فيتساوى في ذلك مَن يكون كبيراً جدًّا ومن يكون صغيراً جدًّا.

يفيدنا الحديث:

*كمال الشريعة واشتمالها على قواعد كليَّة عامة، كما جاء فِي هذا الحديث.

*تقديم من يرث بالفرض فيُعطى ميراثه، وما بقي يكون لِمَن يرث بغير تقدير.

* بناء على هذا الحديث يكون الراجح في مسألة الجد والإخوة اختصاص الجدِّ بالميراث دون الإخوة؛ لأنَّه أصل، والإخوة يرثون كلالة، والجدُّ مثل الأب، فيستقلُّ بالميراث دونهم، وأيضاً يكون الراجح تقديم الإخوة لأم على الإخوة الأشقاء في مسألة المشرَّكة؛ لأنَّ الإخوة لأم يرثون بالفرض،

والأشقاء يرثون بالتعصيب، وصاحب الفرض يُعطَى فرضه، ويأخذ الذين يرثون بالتعصيب ما بقي إن بقي بعد الفروض شيء، وإلاَّ سقطوا.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الرابع والأربعون "عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "الرَّضاعة تحرِّم ما تحرِّم الولادة" خرَّجه البخاري ومسلم".

الشَّرح:

جاء فِي القرآن الكريم تحريم الأمَّهات المرضعات والأخوات من الرضاعة فِي قوله تعالى: {وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ}، وجاءت السنَّة بهذا الحديث وما فِي معناه بأنَّ الرَّضاعة تحرِّم ما تحرِّم الولادة، فكلُّ ما حرُم بالنَّسب يحرم بالولادة مثلُه، فإذا ارتضع طفلٌ

من امرأة صارت أمًّا له من الرضاعة وصار أبوها وأجدادها آباء له من الرضاعة، وأمُّها وجداتها أمهاتٍ له من الرضاعة، وإخوانها أخوالاً له من الرضاعة، وأخواتها خالات له من الرضاعة، وأولادها سواء كانوا من زوج واحد أو أزواج إخوة له من الرضاعة، وأيضًا يكون زوج المرأة المرضعة الذي رضع من لبنه أبًا له من الرضاعة، وأبوه وأجداده آباء له من الرضاعة، وأمُّه وجداتُه أمهات له من الرضاعة، وإخوانه وأخواته أعمامًا وعمَّات له من الرضاعة، وأولاده من زوجات متعددات إخوة له من الرضاعة، وزوجاته زوجات أب من الرضاعة، وهكذا كلُّ ما حرُم من النسب فإنَّه يحرم ما يماثله من الرضاعة. الرضاع الذي يكون به التحريم ما بلغ خمس رضعات فأكثر، وكان في الحولين، فإن نقص عن الخمس فإنَّه لا يحصل به التحريم، كما أنَّ رضاع الكبير لا يحصل به التحريم، وما جاء في قصة سالم مولى أبي حذيفة أخرجه مسلم (١٤٥٣)، فهو مقصور عليه

لا يتعدَّاه إلى غيره، ومِمَّا يوضح أنَّ رضاع الكبير لا يُعتبر؛ لأنَّه لا يحصل به التغذية، أنَّ بإمكان كلِّ امرأة تريد أن تتخلَّص من زوجها أن تحلب في كأس من ثديها ما يبلغ خمس رضعات فأكثر، ثم تسقيه زوجها وهو لا يشعر، وتقول له بعد ذلك: أنا لا أحل لك؛ لأنَّك ابني من الرضاعة.

يفيدنا الحديث:

❊كمال الشريعة واشتمالها على قواعد كليَّة عامة، كما جاء فِي هذا الحديث.

❊أنَّ كلَّ امرأة حرُمت من النسب يحرم ما يُماثلها من الرضاعة.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الخامس والأربعون " عن جابر بن عبد الله أنَّه سمع

رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عام الفتح وهو بمكة يقول: "إنَّ الله ورسوله حرَّم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، فقيل: يا رسول الله أرأيتَ شحوم الميتة، فإنَّه يُطلى بها السفن، ويُدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس؟ قال: لا! هو حرام، ثم قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: قاتلَ الله اليهودَ؛ إنَّ الله حرَّم عليهم الشحوم، فأجملوه، ثم باعوه، فأكلوا ثمنه" خرَّجه البخاري ومسلم".

الشَّرح:

قوله: "إنَّ الله ورسوله حرَّم"، جاء لفظ الفعل "حرَّم" بالإفراد، وجاء بالتثنية، وجاء "إنَّ الله حرَّم"، وجاءت التثنية في الضمير الذي يعود إلى الله ورسوله فِي حديث: "ثلاث مَن كنَّ فيه وجد بِهنَّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مِمَّا سواهما ... " الحديث أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٦٧)، وعلى هذا يُحمل ما جاء هنا من إفراد الفعل "حرَّم" على أنَّه يعود إلى

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويكون التحريم المضاف إلى الله محذوفًا، والتقدير: إنَّ الله حرَّم ورسوله حرَّم، وهو نظير قول الله عَزَّ وَجَلَّ: {وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ} ، أيْ: والله أحقُّ أن يُرضوه، ورسوله أحقُّ أن يرضوه بيَّن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحرِّم هذه الأشياء عام الفتح بمكة، ويكون هذا البيان في هذا الوقت وفِي هذا المكان بمناسبة دخول الكفار فِي الإسلام، وهم يتعاطون هذه المحرَّمات، فأعلمهم أنَّها حرام، وهذا لا يمنع أن يكون تحريمها قد حصل من قبل.

الأول: من هذه المحرَّمات الأربع الخمر، وهي أمُّ الخبائث؛ لأنَّ شاربَها يسعى بشربِها لإلحاق نفسه بالمجانين، فيحصل نتيجة لذلك أنَّه يقع فِي كلِّ حرام، وقد يكون من ذلك الاعتداء على المحارم، وهي تجلب كلَّ شرٍّ وتوقع فِي كلِّ

بلاء، ولهذا أُطلق عليها أمُّ الخبائث.

والثانية: الميتة، فيحرم أكلها إلاَّ لضرورة إبقاء الحياة حيث لا يجد يرَها، ويُستثنى من ذلك جلدها إذا دُبغ؛ لثبوت السنَّة بذلك عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رواه البخاري (٢٢٢١)، ومسلم

والثالث: الخنزير، فلا يجوز أكله ولا بيعه، وكلُّ ما يحرم أكله من الدواب فالميتة والمذكَّى منه سواء.

والرابع: الأصنام، فلا يجوز بيعها ولا اقتناؤها؛ لأنَّها صُنعت لعبادتها، بل يجب تحطيمها وكسرها، ولا بأس بالانتفاع بِها بعد التكسير فِي البناء ونحوه؛ لأنَّها لم تبق أصناماً.

قال الحافظ في الفتح (٤/ ٤٢٥) : "قوله: (**أرأيتَ شحوم الميتة، فإنَّه يُطلى بِها السفن، ويُدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس؟**)

أيْ: فهل يحلُّ بيعُها لِمَا ذكر من المنافع؛ فإنَّها مقتضية لصحة البيع، قوله: (فقال: لا، هو حرام) ، أيْ: البيع، هكذا فسَّره بعض العلماء كالشافعي ومَن اتَّبعه، ومنهم من حمل قوله: (هو حرام) على الانتفاع، فقال: يحرم الانتفاع بِها، وهو قول أكثر العلماء، فلا يُنتفع من الميتة أصلاً عندهم إلاَّ ما خُصَّ بالدليل، وهو الجلد المدبوغ."

قوله: "قاتل الله اليهود؛ إنَّ الله حرَّم عليهم الشحوم، فأجملوه، ثم باعوه، فأكلوا ثمنه"، هذا من حيل اليهود؛ فإنَّ الله لَمَّا حرَّم عليهم الشحوم أجملوها أي: أذابوها، وباعوها وأكلوا أثمانها، والله إذا حرَّم شيئًا حرَّم ثمنه، ولهذا دعا عليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

يفيدنا الحديث:

❊بيان تحريم النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الأمور الأربعة.

❊بيان النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا التحريم بمكة عام الفتح؛ ليُبادر الذين أسلموا إلى الامتناع من هذه الأربعة، انتفاعاً وبيعاً.

❊أنَّ ما حرَّم الله فبيعُه حرام وثمنه حرام.

❊ تحريم الحيل التي يُتوصَّل بها إلى استحلال ما حرَّم الله.

❊ذمُّ اليهود وبيان أنَّهم أهلُ حيَل للوصول إلى استباحة الحرام.

❊تحذير هذه الأمَّة أن تقع فيما وقعت فيه اليهود من هذه الحيَل.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

الحديث السادس والأربعون " عن أبي بُردة عن أبيه أبي موسى الأشعري أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثه إلى اليمن، فسأله عن أشربة تُصنع بها، فقال" :ما هي؟ قال :البتْع والمِزْر، فقيل لأبي بردة :وما البتْع؟ قال :نبيذ العسل، والمِزر نبيذ الشعير، فقال :كلُّ مسكر حرام" خرَّجه البخاري".

الشَّرح:

من الأشربة التي كانت تُستعمل فِي اليمن عندما بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا موسى الأشعري إليه :البتع، وهو نبيذ العسل، والمِزر :وهو نبيذ الشعير، وقد سأل أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذين الشرابين، فأجابه بجواب جامع يشملهما ويشمل غيرهما، فقال" :كلُّ مسكر حرام"، فأناط النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التحريم بالإسكار، فدلَّ على أنَّ ما أسكر من الأشربة حرام، وما لم يسكر فإنَّه حلال، وفِي صحيح البخاري (عن أبي الجويرية قال: سألت ابن

عباس عن الباذق؟ فقال :سبق محمد صلى الله عليه وسلم الباذق، فما أسكر فهو حرام، قال :الشراب الحلال الطيب، قال :ليس بعد الحلال الطيب إلاَّ الحرام الخبيث"، وقد ذكر ابن سيده فِي المحكم أنَّ الباذق من أسماء الخمر.

وقد كان رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي أول الأمر حرَّم الانتباذ في أوعية معيَّنة، كما جاء ذلك في حديث وفد عبد القيس، رواه البخاري (٥٣) ، ومسلم (٢٣) ، ثمّ إنَّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جاء عنه ما ينسخ ذلك في حديث بُريدة بن الحُصيب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حيث قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: "نهيتُكم عن زيارة القبور فزوروها، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث فأمسكوا ما بدا لكم، ونهيتُكم عن النبيذ إلاَّ في سقاء، فاشربوا في الأسقية كلِّها، ولا تشربوا مسكراً" رواه مسلم |٩٧٧.

وكلُّ ما أسكر فهو حرام، سواء كان شراباً أو طعاماً، وسواء كان سائلاً أو جامداً أو دقيقاً أو ورقاً أو غير ذلك، فإنَّ كلَّ ذلك داخلٌ تحت قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: "كلُّ مسكر حرام."

الخمرُ ما خامر العقل وغطَّاه، فكلُّ ما كان كذلك داخلٌ تحت قوله ﷺ: "كلُّ مسكر حرام"، وكلُّ شيء أسكر كثيرُه فقليلُه حرام، وذلك سدًّا للذريعة الموصلة إلى المسكر، وسواء كان ذلك من العنب أو غيرها، وقد جاء عن بعض علماء الكوفة أنَّ القليل الذي لا يسكر إذا لم يكن من العنب، فشربُه سائغ، وهذا غير صحيح؛ لأنَّه ثبت عن رسول الله ﷺ من حديث جابر وغيره رضي الله عنهم أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: "ما أسكر كثيرُه فقليلُه حرام" أخرجه أبو داود (٣٦٨١)، والترمذي (١٨٦٥)، وابن ماجه (٣٣٩٣)، وهذا لفظ عام يشمل كلَّ مسكر، سواء كان من العنب أو غيرها، فلا يجوز تعاطي كلِّ مسكر إلاَّ إذا كان شيئًا يسيراً لدفع غصَّة ونحوه.

يفيدنا الحديث:

*حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة الأحكام الشرعية.

*كمال الشريعة واشتمالها على قواعد كليَّة عامة، كما جاء في هذا الحديث.

❊تحريم كلِّ مسكر من أيِّ نوع كان.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث السابع والأربعون " عن المقدام بن معد يكرب قال: سمعتُ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يُقمن صلبَه، فإن كان لا محالة، فثُلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنفَسِه" رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه، وقال الترمذي: "حديث حسن."

الشَّرح:

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ما ملأ آدميٌّ وعاء شرًّا من بطن"، الوعاء هو الظرف الذي يُوضَع فيه الشيء، وشرٌّ وعاء مُلئ هو البطن؛ لِمَا في ذلك من التُّخمة، والتسبُّب في حصول الأمراض، ولِمَا يورثه من الكسل والفتور والإخلاد إلى

الراحة.

قوله: "**بحسب ابن آدم أكلات يُقمن صلبَه**"، المعنى: يكفي ابن آدم عددٌ من الأكلات التي تحصل بِها حياته، وهو معنى قوله: "**يُقمن صلبَه**"، **أيْ**: ظهره، وفي ذلك حثٌّ على التقليل من الأكل وعدم التوسُّع فيه؛ ليحصلَ للإنسان الخفَّة والنشاط والسلامة من التعرُّض للأمراض والأسقام التي تنتج عن كثرة الأكل.

قوله: "**فإن كان لا محالة، فثُلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنفَسِه**"، المعنى: إذا لم يكتف الإنسانُ بأكلات يُقمن صلبَه، وكان لا محالة زائداً عن هذا المقدار فليكن مقدار ما يُؤكل ويُشرب في حدود ثلثي البطن؛ ليبقى ثلثٌ يُمكن معه التنفس بسهولة.

يفيدنا الحديث:

*بيان الأدب الشرعي الذي ينبغي أن يكون عليه الآكلُ في مقدار أكله.

*التحذير من ملء البطن؛ لِمَا يجلبه من الأمراض والكسل والخمول.

*أنَّ الكفايةَ تحصل بما يكون به بقاء الحياة.

*أنَّه إن كان لا بدَّ من الزيادة على الكفاية، فليكن في حدود ثلثي البطن.

قالَ المُصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الثامن والأربعون "عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "أربَعٌ مَن كنَّ فيه كان منافقًا، وإن كانت خصلةٌ منهنَّ فيه كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدَعها؛ إذا

حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصمَ فجر، وإذا عاهد غدر" خرَّجه البخاري ومسلم".

الشَّرح:

قوله: "أربَعٌ مَن كنَّ فيه كان منافقًا، وإن كانت خصلةٌ منهنَّ فيه كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدَعها"، المعنى أنَّ مَن وُجدت فيه هذه الخصال الأربع فهو موصوفٌ بالنفاق العملي، ومَن كان عنده احدة منها كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدَع هذه الخصلة، وهذا من كمال بيانه ﷺ؛ حيث يذكر العدد أوَّلاً، ثم يأتِي بتفصيل المعدود؛ لِمَا في ذلك من حفز السامع إلى الاستعداد والتهيؤ لوعي ما سيُلقى عليه من هذه الخصال، وليطالب نفسَه بالمعدود، فإن لم يُطابق علم أنَّه فاته شيء.

الخصلة الأولى: الكذب في الحديث، وذلك أن يحدِّث غيرَه بحديث هو كاذب فيه، فيخبر بالشيء على غير حقيقته، وفي ذلك إساءةُ صاحب الحديث إلى نفسه؛ لاتِّصافه بهذا الخُلق الذميم، وإساءةٌ إلى مَن يحدِّثه بإيهامه أنَّه صادق في حديثه معه، وقد قال ﷺ: "عليكم بالصِّدق؛ فإنَّ الصِّدقَ يهدي إلى البر، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّة، وما يزال الرَّجل يصدق ويتحرَّى الصِّدقَ حتى يُكتب عند الله صديقًا، وإيَّاكم والكذب؛ فإنَّ الكذبَ يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجورَ يهدي إلى النار، وما يزال الرَّجل يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يُكتب عند الله كذَّابًا".

الخصلةُ الثانية: إخلاف الوعد، وذلك بأن يَعِدَ عِدةً وفي نيَّته ألاَّ يفي بها، أمَّا إذا وعد وهو عازمٌ على الوفاء بالوعد، فطرأ له ما يَمنعه من الوفاء فهو معذور، وقد روى أبو داود (٤٩٩١) عن عبد الله بن عامر أنَّه قال: "دعتني أمِّي يومًا

ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاعد فِي بيتنا، فقالت: ها، تعال أعطيك، فقال لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وما أردتِ أن تعطيه؟ قالت: أعطيه تمراً، فقال لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا إِنَّك لو لم تعطه شيئًا كُتبت عليك كذبة". انظر: الصحيحة للألباني (٧٤٨).

الخصلةُ الثالثة: الفجور في الخصومة، والمعنى أن يكون الإنسانُ عند الخصومة مع غيره يغضب فيتجاوز العدل إلى الظلم، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: {وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا}، وقال تعالى: {وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا} قال الحافظ في الفتح (١/ ٩٠): "والفجورُ الميلُ عن الحقِّ والاحتيال في ردِّه"، وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٨٦): "فإذا كان الرجل ذا قدرة عند الخصومة سواء كانت خصومته في الدِّين أو في الدنيا على أن ينتصرَ للباطل، ويخيّل للسامع أنَّه حق، ويوهن الحقَّ ويخرجه في

صورة الباطل، كان ذلك من أقبح المحرَّمات، ومن أخبث خصال النفاق."

الخصلة الرابعة: الغدر فِي العهد، قال الله ﷻ: {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً}، وقال: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً}، قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٨٧ ٤٨٨): "والغدرُ حرامٌ في كلِّ عهد بين المسلم وغيره، ولو كان المعاهَد كافراً، ولهذا في حديث عبد الله بن عمرو عن النَّبيِّ ﷺ: (مَن قتل نفسًا معاهَداً بغير حقِّها لم يَرَح رائحة الجنة، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا) خرَّجه البخاري، وقد أمر الله تعالى فِي كتابه بالوفاء بعهود المشركين إذا أقاموا على عهودهم ولم ينقضوا منها شيئًا، وأمَّا عهود المسلمين فيما بينهم فالوفاء بها أشد، ونقضُها أعظمُ إثمًا، ومن أعظمها نقض

عهد الإمام على مَن بايعه ورضي به، وفِي الصحيحين عن أبي هريرة عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (ثلاثةٌ لا يكلِّمهم اللهُ يوم القيامة ولا يزكِّيهم ولهم عذاب أليم ...) ، فذكر منهم: (ورجلٌ بايع إمامًا لا يُبايعه إلاَّ لدنيا، فإن أعطاه ما يريد وفَّى له، وإلاَّ لَم يَفِ له) ، ويدخل فِي العهود التي يجب الوفاءُ بِها ويحرم الغدرُ فيها جميعُ عقود المسلمين فيما بينهم إذا تراضوا عليها من المبايعات والمناكحات وغيرها من العقود اللازمة التي يجب الوفاء بِها، وكذلك ما يجب الوفاءُ به لله عَزَّ وَجَلَّ مِمَّا يعاهد العبدُ ربَّه عليه من نذر التبرر ونحوه."

يفيدنا الحديث:

*أنَّ من حسن التعليم ذكر المعلِّم العدد قبل تفسير المعدود؛ ليكون أوقعَ في ذهن المتعلِّم.

❊بيان خطورة اجتماع خصال النفاق في الشخص.

❊التحذير من الكذب في الحديث، وأنَّه من خصال النفاق.

❊التحذير من إخلاف الوعد، وأنَّه من خصال النفاق.

❊التحذير من الفجور في الخصومة، وأنَّه من خصال النفاق.

❊التحذير من الغدر في العهود، وأنَّه من خصال النفاق.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث التاسع والأربعون " عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "لو أنَّكم توكَّلون على الله حقَّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا، وتروحُ بطانًا" رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم، وقال الترمذي: "حسن صحيح".

الشَّرح:

هـذا الحـديث أصـلٌ في التوكُّـل علـى الله ﷻ ، مـع الأخـذ بالأسباب المشروعة، والأخذ بِها لا يُنافي التوكـلَ، ورسـول الله ﷺ سيِّدُ المتـوكِّلين قـد دخـل مكـة عـام الفـتح وعلى رأسه المغفر، وقد أرشد رسـول الله ﷺ إلـى الجمـع بـين الأخـذ بالأسـباب والاعتمـاد علـى الله بقولـه ﷺ فِـي الحـديث فِـي صـحيح مسـلم (٢٦٦٤) : "احرص على ما ينفعك واستعن بالله"، وحـديث عمـر رضي الله عنه هـذا فيـه الجمـع بـين الأخـذ بالأسـباب والتوكـل علـى الله، والأخذ بالأسباب فيما ذكر عن الطير؛ لأنَّها تغـدو خماصـاً، أي خاليـة البطـون لطلـب الـرزق، وتـروح بطانـاً، أي مُمتلئـة البطون، ومع أخذ المرء بالأسباب لا يعتمد عليها، بل يعتمد على الله ولا يُهمـل الأخـذ بالأسـباب ثـم يـزعم أنَّـه متوكِّـل،

والله قدر الأسباب والمسبَّبات، قال ابن رجب فِي جامع العلوم الحكم (٢/ ٤٩٦ ٤٩٧) : "وهذا الحديث أصلٌ في التوكل، وأنَّه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق، قال الله ﷻ: {وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} ... "إلى أن قال: "وحقيقةُ التوكل هو صدقُ اعتماد القلبِ على الله ﷻ فِي استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلِّها، وكِلَةُ الأمور كلِّها إليه، وتحقيق الإيمان بأنَّه لا يعطي ولا يَمنع ولا يضر ولا ينفع سواه."

يفيدنا الحديث:

*وجوب التوكل على الله والاعتماد عليه في جلب كلِّ مطلوب، ودفع كلِّ مرهوب.

*الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله، وذلك لا يُنافي

التوكل.

قالَ المُصنَّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى :

الحديث الخمسون " عن عبد الله بن بُسر قال: "أتى النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلٌ، فقال: يا رسول الله! إنَّ شرائعَ الإسلام قد كثُرت علينا، فبابٌ نتمسَّك به جامع؟ قال: لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله عزَّ وجلَّ" خرَّجه الإمام أحمد بهذا اللفظ، وخرَّجه الترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه بمعناه، وقال الترمذي: "حسن غريب".

الشَّرح:

سؤال هذا الرجل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثال من الأمثلة الكثيرة فِي سؤال أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أمور الدِّين، وكلُّ ذلك دالٌّ على فضلهم ونبلهم وسبقهم إلى كلِّ

خير وحرصهم على كلِّ خير، والمراد بالشرائع التي كثرت النوافل، وقد أراد هذا الصحابيُّ معرفةَ طريق من طرق الخير يخصُّها بمزيد اعتناء لتحصيل ثواب الله ﷻ، وأمَّا الفرائض فإنَّها مطلوبة كلُّها، ويجب على المسلم التمسُّكُ بها جميعًا، وقد أجابه النَّبيُّ ﷺ بالمداومة على ذكر الله، وألاَّ يزال لسانُه رطبًا من ذكره، والذِّكرُ يكون عامًّا وخاصًّا، والذِّكرُ العام يدخل فيه الصلوات وقراءة القرآن وتعلُّم العلم وتعليمه وحمد الله والثناء عليه وتنزيهه وتقديسه عن كلِّ ما لا يليق به، والذِّكرُ الخاص حمد الله والثناء عليه وتسبيحه وتَهلي له وتكبيره وتحميده، وهو الذي يُقرن بالدعاء، فيُقال: الذِّكر والدعاء، أو الأدعية والأذكار، وهذا العمل سهلٌ على الإنسان، عظيم الأجر عند الله، وثبت فِي الصحيحين وهو آخر حديث في صحيح البخاري قوله

ﷺ: "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان وبحمده، سبحان الله العظيم".

يفيدنا الحديث:

*حرص الصحابة رضي الله عنهم على الأسئلة عن أمور دينهم.

*فضل ذكر الله ﷻ والمدوامة عليه.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه آجمعين